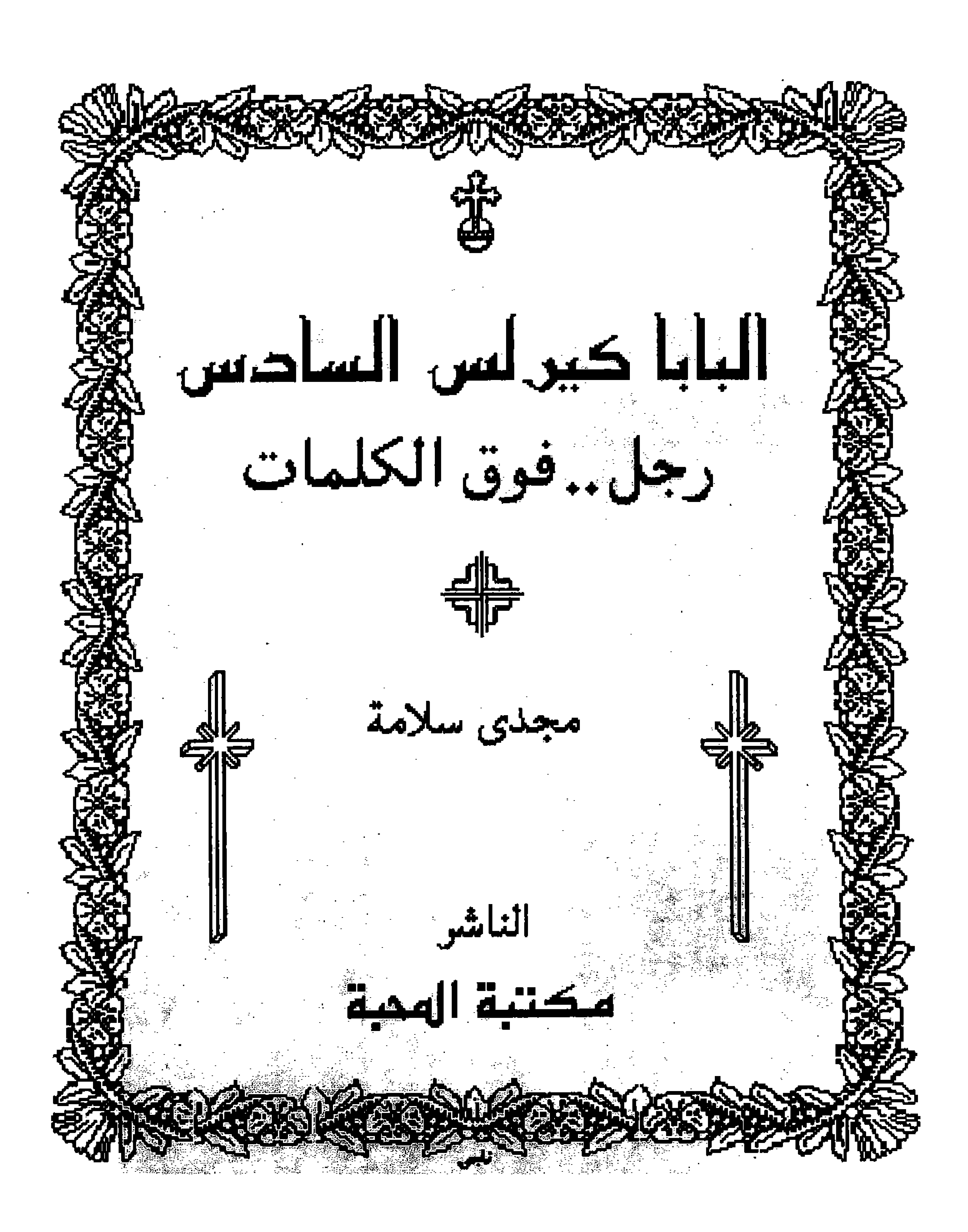


مجدى سلامة
مكتبة المحبة
البابا كيرلس
السادس
رجل فوق الكلمات



البابا كيرلس السادس

رجل.. فوق الكلمات

مجدى سلامة

الناشر

مكتبة المحبة



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

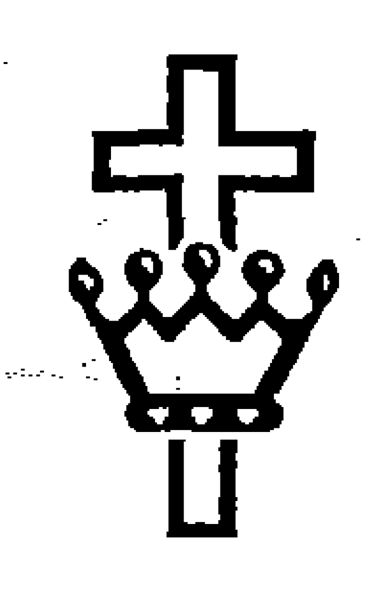
وهم لم يكن العالم مستحقا لهم



الفهرس

الصفحة

الصفحة



الإهـــداء

إلى حفيدى العزيز
مينـــا

ليظللك الرب برعايته ويمنحك بركته وحنانه ومحبته . .
ليشجعك فى الضعف ويهذبك بالحكمة ويحفظك فى طهارة . .
ليمسكك فى يمينه الحصينة ويجود عليك بالفهم وينميك فى المعرفة . .
ليمنطقك الله بالحق ويثبتك فى الإيمان ويقويك بالصلاة . .
لتسلك فى حياتك بالتدقيق والأمانة مع إلهك . .
لتحمل تصرفاتك طابع « القدوة » فى الطاعة والشفقة ومخافة الله . .
ليُنجح الله مقاصدك ويحميك من شَرَكِ المال والطمع . .
لينجيك من خداع الكذب والغرور والكبرياء . .
وليكن دستورك فى كل حياتك يا صغيرى :
محبة بلا رياء . .
تسامح بلا ضعف . .
عفو عند المقدرة . .
وعطـاء للوطـن وللجميـع دون انتظـــار للجـــزاء . . . . .

المؤلف

مقدمة

✠ ✠ ✠

في زيارة البابا كيرلس السادس الرعوية لمحافظة دمياط في يوليو ١٩٦٠ ، أعلن أن قداسته سوف يصلى القداس الإلهى بكنيسة السيدة العذراء برأس البر . ولما كنت أعمل بدمياط ، وأقضى موسم الصيف مع أسرتى برأس البر ، لذلك وجدتها فرصة ذهبية أن أذهب إلى الكنيسة فى الصباح الباكر ، لأصلى وآخذ البركة من سيدنا قبل بداية القداس ، وحتى يتسنى لى التوجه بالأتوبيس إلى دمياط لأصل عملى فى موعد مناسب ، حيث كنت أعمل ببنك الإسكندرية ومعى مفاتيح الخزائن .

حضرت إلى الكنيسة فى ١٧ يوليو ، ودخلت ، وسرت حتى الصف الأول أمام المذبح . وقفت ورشمت الصليب وصليت ، كل ذلك وغبطة البابا كيرلس جالس على كرسى بالجانب الأيمن من الهيكل .

توافد الناس تباعا ، واقتربوا منه ، وقبلوا يده التى مدها بالصليب آخذين البركة . وبدأوا يأخذون أماكنهم بالجلوس على الأرائك والكراسى استعدادا لحضور القداس . نظرت فى ساعتى ، ووجدت أن موعد ذهابى إلى دمياط قد أزف . تركت مكانى متوجها حيث يجلس البابا لأخذ البركة . اقتربت منه ، ووجدته ينظر إلىَّ نظرة عتاب ثاقبة ، وما كدت أقترب من يده لأقبلها ، حتى وجدته يقول لى : « توك اللى افتكرت ؟؟ »

وعندئذ ، تذكرت أننى حينما دخلت الكنيسة ، لم أتوجه ناحيته مباشرة لأخذ البركة كما أخذها كل الحضور ، واكتفيت بوقوفى أمام الهيكل أصلى . وشرحت لقداسته باقتضاب

ظروف عملى التى تضطرنى لمغادرة الكنيسة قبل حضور القداس . ابتسم ابتسامته الحانية ، ووضع الصليب على رأسى ، وقال لى وأنا أعاود تقبيل يده : « ربنا يباركك ويقويك ويحافظ عليك . »

وانسحبت لأركب الأتوبيس وأنا فى منتهى السعادة ، لأن الظروف شاءت أن ألتقى بالبابا الذى باركنى وصلّى لى . ولكن ، ما إن ركبت الأتوبيس ، حتى وجدت سؤالا يفرض نفسه علىّ ، وظل كذلك أياما كثيرة .. هذا السؤال هو : كيف عرف البابا أننى لم أتقدم إليه عند دخولى الكنيسة لأخذ بركته ، رغم تزاحم الناس – رجالا ونساء ، شبابا وأطفالا – حول قداسته ؟؟؟

لقد ظلت نظرته العاتبة ، التى أخجلتنى ، تلاحقنى أكثر من ثلاثين عاما !! حتى نُقلت إلى السويس ، والتقيت بنيافة الحبر الجليل الأنبا أغناطيوس أسقف السويس ، الذى زرته مرارا طالبا بركته . وفى إحدى زياراته الرعوية فى تفقد شعبه ، شرفنى بالزيارة فى بيتى ليودعنى حيث أحِلت إلى التقاعد ، وقدّم لى هديته : كتاب « السنكسار » بجزئيه . فى هذه الزيارة – بابتسامته الوديعة الحانية ، وحديثه العذب الممتع – اقترح علىّ قداسته أن يكون تقاعدى فرصة لدراسة سير القديسين والكتابة عنهم ... ووجدت نفسى أقص على قداسته ما دار بينى وبين غبطة البابا كيرلس من حوار عندما التقيت به فى رأس البر . فقال لى ، وهو يربت على كتفى قبل أن يتركنى : « لعلك تتخذ من سيرة البابا كيرلس مدخلا للدراسة والكتابة فى سير القديسين ، فحياتهم كلها بركة . » واعتبرت هذا أمرا ..

ومنذ إحالتى إلى التقاعد فى ٢٦ نوفمبر ١٩٩٠ ، إذا بنداء أقوى منى ظل يطاردنى قرابة العامين ، ويطالبنى بألا أنسى إعداد كتاب عن البابا .

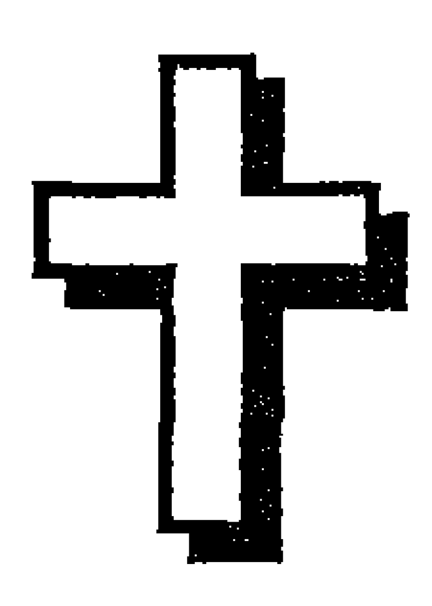
ووجدت نفسى بإرشاد السماء ، وفضل الآباء الأحياء ، والأخوة الأعزاء العارفين بفضل وحياة قديسنا المعاصر غبطة البابا كيرلس السادس ، أن أشترك بجهد متواضع ...

فأعددت هذا الحوار الخيالى الذى شمل كل حياته ، آملا أن يكون الحوار - بأسلوبه السهل - قد أضاف جديدا مفيدا للكثير من الكتب التى تناولت حياته .

إن هذا الكتاب « البابا كيرلس السادس .. رجل فوق الكلمات » سوف يكون بركة أكيدة وعظيمة لكل بيت من محبى البابا وعارفى أثره وفضله .. ومعجزاته وإنجازاته .. سوف يكون مصدر إشعاع وتنوير لكل من يريد أن يعرف حياته : قارئا أو باحثا أو محبا للتزود بالمعرفة .

لتكن بركاته وقوة صلاته وشفاعته معنا جميعا ، آمين .

مجدى سلامة





المراجــع

✠ ✝ ✠

الكتاب	المؤلف
† مذكراتى عن حياة البابا كيرلس السادس (الجزء الأول والجزء الثانى)	القس رافائيل آفامينا
† ينبوع تعزية	القس رافائيل آفامينا
† رسالة سلام	القس رافائيل آفامينا
† البابا كيرلس والقيادة الروحية	القس رافائيل آفامينا
† قصة الكنيسة القبطية (الجزء السابع)	إيريس حبيب المصرى
† تاريخ إيبارشية دمياط	القمص بيشوى عبد المسيح
† البابا كيرلس السادس . . حياته ومعجزاته	ملاك لوقا
† طرائف البابا كيرلس	جرجس رفلة
† عشر سنوات مجيدة	د. يوسف منصور والقمص غبريال حكيم
† صداقة القديسين (مار مينا والبابا كيرلس السادس)	أبناء البابا كيرلس
† البابا كيرلس رجل صلاة	أبناء البابا كيرلس السادس
† معجزات البابا كيرلس السادس (١٨ جزء)	أبناء البابا كيرلس السادس
† حياة الفضيلة (لمحة من حياة البابا كيرلس السادس)	مركز العذراء مريم بالزيتون
† السر العظيم	م. ص. ع.
† مدرسة الفضائل	ص. ع.
† البابا والآباء السواح	ص. ع.
† تمجيد القديس العظيم البابا كيرلس السادس وسيرته	الشماس يوسف شنودة شنودة

† الميرون المقدس — شريط ڤيديو

† حياة البابا كيرلس — أشرطة تسجيل — القمص صليب سوريال

† مذكراتى عن حياة البابا كيرلس — أشرطة تسجيل — القس رافائيل آڤامينا

† الصحف القومية والدينية

(الأهرام - الأخبار - الجمهورية - وطنى - مصر - الفداء .. إلخ)



✠ متى ولدت يا أبانا المبارك ؟

✣ ولدت فى ٢ أغسطس ١٩٠٢ بمدينة دمنهور ، لأب عاش على تعاليم الكنيسة ، مواظبا على الصلاة ، حريصا على الصوم . كان أبى « يوسف » كريما مضيافا ، مشهودا له بحسن السيرة وجمال الصوت . كما كان شماسا ، يقضى وقت فراغه فى تعليم الشمامسة الصغار الألحان والكتابة والحساب ، أو يقضيه معنا فى البيت يردد سير القديسين الذين كان يزيّن دارنا بالكثير من صورهم . الأمانة والصدق والإيمان كانت صفاته الأساسية التى ساعدته على ازدهار تجارة رجل من كبار الملاك كان يعمل لديه ، ومضاعفة المحاصيل الزراعية لأرضه ، فأحبه وأعزّه . لقد كانت أسعد لحظات حياته حين يجمعنا ليقرأ لنا فى الكتاب المقدس .

أما والدتى ، فقد كانت سيدة طيبة أمينة ، حريصة على تنمية الألفة والترابط بيننا كأسرة ، كما كانت حريصة على تلبية طلباتنا جميعا .

✠ ماذا عن طفولتك ؟

✣ فى الرابعة من عمرى ، كان يتردد على زيارتنا القمص تادرس البراموسى مع مرافق له يدعى ساويرس حيث كان ضعيف البصر . وكنت أرتاح وأأنس لهذا الراهب ، وأمضى كل وقتى أمرح بجواره ، بل كثيرا ما كان يأخذنى لأنام على ركبتيه ، مما كان يدفع والدتى للحضور وحملى قسرا إلى فراشى ، معتذرة للقمص عن مضايقاتى له ، وكان يصر على أن يبقينى فى حجره ، قائلا لها : « دعيه ، لأنه من نصيبنا . »

✠ ماذا كان يعنى القمص تادرس بهذا القول ؟

✣ كان يعنى – كما علمت من أبى بعد أن كبرت – أن الرهبنة سوف تكون من نصيبى ، وأن هناك دلائل أخرى أكدت ذلك .

✠ تقصد احتجاجك على والديك فى صغرك عندما رأيت أصناف الطعام على المائدة فى يوم رفاع الصوم الكبير ، فثرت ، وقلت لأمك أمام أبيك : « إننا نأكل الطعام الفاخر ، وبجوارنا عائلة الكردى فقيرة ومحتاجة إلى العيش الحاف . ألا يحسن أن نهديهم هذا الطعام من أجل المسيح الذى سنصوم له باكرا ؟ » لقد انشرح قلب والديك

لشعورك النبيـل ، وذهبتم بالطعام لعائـلة الكردى ، فاستقبلتكم بالدهشة والاستفسار . ولما عرفوا أنك صاحب الفكرة يا « عازر » قبلوك ودعوا لك ؟

✢ يقولون أنه كان لا يحلو لى أن ألبس بدلة جديدة إلا وفوقها مريلة من القماش الأسود اللامع . . كما أن فقيه القرية الشيخ أحمد غلوش اقترح على والدى أن أذهب إليه فى الكتّاب فى العطلة الصيفية ، ومعى إنجيلا لأدرس فيه ، فأعطانى والدى إنجيل يوحنا مكتوبا بحروف كبيرة ؛ وقد حفّظنى إياه الشيخ أحمد مما أدهش الجميع .

✠ متى انتقلت أسرتك إلى الإسكندرية ؟

✢ عندما عمل والدى وكيلا لدائرة أحمد يحى باشا ، وكانت الدائرة مركزا من مراكز الحركة الوطنية ، ومقرا لرجال الوفد بالإسكندرية .

✠ ونحن لا تغفل أن أبناء أحمد يحى باشا هم أمين وعبد الفتاح الذى أصبح رئيسا لوزراء مصر ، وهما من دعائم الحركة الوطنية . فلا غرو إن كنت قد أظهرت وأنت فى بداية شبابك حبك لمصر وتفانيك لخدمة وطنك .

✢ لقد كان ذلك مع بداية دراستى بالمرحلة الثانوية .

✠ ما الوظائف التى تقلدتها ؟

✢ لقد التحقت بشركة كوكس شيبنج للملاحة .

✠ هل لك أن تلقى الضوء على عملك فى هذه الشركة ؟

✢ كان المدير العام للشركة أستراليا متشددا فى معاملته للموظفين ، فخافوه وتجنبوا مقابلته . وكانت هوايته الوقوف على رأس السلم فى مواجهة الباب العمومى لمراقبة حضور الموظفين صباحا . كانت أعمالى تبدأ الساعة التاسعة صباحا ، فكنت فى طريقى أتوجه إلى الكنيسة المرقسية يوميا قبل ذهابى للعمل . وتصادف يوما عند توجهى للعمل ، فوجئت بالمدير العام واقفا على السلم ، فصعدت وحييته . سألنى عن سبب تأخرى فى الحضور ، فعرفّته بمنتهى الهدوء أن عملى يبدأ فى التاسعة كل يوم ، وتركته بكياسة وأدب .

☩ لقد قال المدير لرئيسك المباشر حينذاك ، وكان اسمه « ألفريد فاضل » ، وهو لبناني الجنسية ، أنك قد علمته كيف يحترمك ، وأعجب برباطة جأشك وحسن تصرفك ، وأنك لم تتجنب مقابلته كما فعل زملاؤك .

✣ لقد كنت ملتزما بالمواعيد ، مدققا أمينا فى العمل .

☩ هل من مثال للأمانة فى العمل ؟

✣ كُلفت يوما بالإشراف على الإجراءات الجمركية الخاصة بأمتعة قائد انجليزى كبير عائد إلى بلاده . فوجئت عند فتح الحقائب فى صالة التفتيش بوجود حافظة نقود القائد فى طيات ملابسه . سلمها لى المفتش . عدت إلى الشركة ، وطمأنت المدير العام على إنهاء الإجراءات ، وسلمته حافظة النقود ؛ وكان القائد يجلس إلى جوار المدير ، فانفرجت أساريره وأخذها منه شاكرا .

☩ وقدّم لك مائة جنيها استرلينيا مكافأة لك على أمانتك .

✣ رفضت أخذها بأدب رغم إلحاحه علىّ بشدة ، وقلت له أنه يجب ألا يكون هناك مقابل مادى للأمانة .

☩ لقد ازداد إعجاب المدير العام بك ، فزاد مرتبك عشرة جنيهات ، وكان لهذا القرار صدى كبير بين زملائك ، إذ لم يمض على منح العلاوات الدورية سوى شهور .

✣ أشكر الرب أننى قد تدرجت فى عملى محوطا بالتقدير والثقة من الجميع ، وأصبحت أتقاضى مرتبا كبيرا يحسدنى عليه أقرانى .

☩ مؤكد كنت سعيدا بالمرتب الكبير وتدرجك بالعمل ، فكل الظروف تؤكد أنك سوف تكون يوما مديرا ناجحا .

✣ لقد ظللت خمسة أعوام فى العمل .. حياتى خلالها بعد الانتهاء من العمل الذى أؤديه على خير وجه ، فى وقت الفراغ أواظب على الذهاب إلى الكنيسة لحضور القداسات والصلوات .. أمضى الليل فى حجرتى ساهرا أقرأ فى الكتاب المقدس أو أصلى .. كنت أستاء عندما أجد أفراد أسرتى يضيعون وقتهم فى السمر والمزاح .

✠ حتى أنك كنت تقول لهم باسما : « كفاكم .. ملأتم الهواء كلاما . » وتُحوّل الجلسة إلى تأمل فى تعاليم الله .. وبالطبع لا نغفل أنك منعت أهل منزلك من دخول حجرتك أو معرفة محتوياتها لمدة خمسة أعوام .. لماذا ؟

✣ لقد كنت أعتبر حياتى فى هذه الغرفة تدريبا على حياة القلالى والوحدة . وفى غفلة من الأسرة ، جهزت نفسى لحياة أفضل .. جهزت ملابس الرهبنة ولوازمها .

✠ معنى هذا أنك أعددت العدة لاستقالتك من الشركة .

✣ فعلا ، تقدمت للمدير باستقالة موجزة ، كتبت فيها : « بما أن لدى أعمال هامة لا يسعنى أن أتخلى عنها ، فلذلك أقدم استقالتى من العمل ، وأرجو أن يتم قبولها حتى نهاية يونية ١٩٢٧

✠ هل تم قبول الاستقالة بسهولة ؟

✣ مع الأسف ، لقد اتصل المدير بشقيقى حنا وطلبه للحضور ، وسأله عن السبب الذى لأجله قدمت استقالتى .. ولكن أخى لم يكن يعرف أى شيء عن هذه الاستقالة ، ووعد المدير أنه عندما يعرف سوف يخبره ، وعرض المدير على أخى أن يبلغنى استعداده تعيينى فى وظيفة أحسن بمرتب أكبر .

✠ ماذا حدث عندما عاد أخوك إلى البيت وعرّفهم بالاستقالة ؟

✣ لقد حاول الأهل بكل الطرق أن يقنعونى بالعدول عن الرهبنة ، وأبقى فى العالم وأعيش مع المسيح .. ولكننى رفضت بشدة .

✠ وقلتَ لهم : « أيهما أفضل .. حياة البر والقداسة والسعادة الحقة ، أم حياة الشقاء والكد والتعب فيما لا ينفع ، وماذا يفيد الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ »

✣ لقد تضافر الأهل والأقارب والأصدقاء لاقتلاع فكرة الرهبنة من قلبى ، ناصحين إياى بالحرص على ما وهبنى الله من توفيق فى عملى بالشركة . ولكنهم لم يفلحوا . وأشكر الرب أننى انتصرت على إغرائهم ونصحهم وإشفاقهم علىّ .

✠ كيف طرقت باب الرهبنة ؟

✢ توجهت لمقابلة الأنبا يؤانس مطران البحيرة والمنوفية ووكيل الكرازة المرقسية ، والتمست منه أن يقبلنى راهبا . ولما كان قداسته يعرف أبى وأخى ، فقد طلب منى أن يحضرا ويوافقا على طلبى الرهبنة . عدت إلى البيت حزينا فى تلك الليلة .

✠ وتصور الأهل أن هناك صراعا نفسيا فى داخلك نتيجة تضارب رغباتك ، وظنوا أن الفرصة سانحة ليثنوك عن عزمك وتستمر فى عملك .

✢ وعرّفونى أن مدير الشركة وعد أن يمنحنى علاوة استثنائية ، وأعادوا على مسامعى نصائحهم . فاضطررت لمصارحتهم بأن حزنى مرجعه الحقيقى رفض الأنبا يؤانس رهبنتى ما لم يوافق أبى .

✠ ولما كان والدك يعرف أنك لن تتراجع عما اعتزمت ، فاقترح عليك أن تتقدم للأسرار المقدسة ، ثم تصنع بعد ذلك ما يرتاح إليه ضميرك ، ولن يعارضك فيه أحد .

✢ كان أب اعترافى القمص يوحنا جرجس الكبير رجلا ذا مشورة صالحة محبوبا من شعبه ، وكان يدعونى « عازر المبروك » . قابله والدى وأحاطه بما انتويت . فتناقش معى القمص يوحنا وقرّبنى من الأسرار الإلهية .

✠ وبعد انتهاء القداس ، أخبر القمص والدك أنه من صالحك ومن الخير لك أن يساعدك على إتمام قصدك ، لأنك تعلم طريقك جيدا ، ورسمت لنفسك سبيلا مستقيما من زمن بعيد . وأكد لوالدك وقوفه إلى جانبك لتحقيق أمنيتك ، وأن قلبه يحدثه أن الله هو الذى اختار لك هذا المنهج .

✢ لقد صحبنى أبى وأخى إلى الأنبا يؤانس وأنا فرحا مسرورا .

✠ فيما ناقشك الأنبا يؤانس بعد أن ذهبت إليه مع والدك ؟

✢ لقد ظهر عليه الرضا ، غير أنه ناقشنى بحزم وشدة ، مبينا لى متاعب الرهبنة ومشقاتها ووعورة حياتها ، وما سيحيق بى من آلام وإهانات ، وما سيلحق بى من تجارب وحروب متنوعة ، وأننى لن أنعم يوما بالراحة وخلو البال .

✠ وبماذا أجبته ؟

✣ قلت له : « كل هذه رسمتها أمامى ، كما أننى مارست طريق الرهبنة بكل حرص منذ خمس سنوات فى بيت أبى . وكل ما سوف يصادفنى لن يكون جديدا علىّ . »

✠ ومع ذلك ، عاود وقال لك : « يا ابنى ، إنى أرى أولاد المدن لا يحتملون مشقة الرهبنة ، والقليل منهم الذى ينجح فى هذا الطريق . »

✣ قلت له : « رجائى بالله قوى ، وأنا أؤمن لو باركتنى يا سيدنا وسألت لأجلى القوة والتوفيق سوف أنجح ، والمسيح نفسه ليس بظالم ولا ينسى تعب المحبة . »

✠ وهنا ، باركك الأنبا يؤانس ، وقال : « سأهيىء لك سبيل الانخراط فى الرهبنة . »

✣ فتهللت فرحا ، وانحنيت أمامه ساجدا عدة مرات ، وعدت مع والدى موفور السعادة .

✠ ماذا قلت لأبيك وأخيك وأنتم فى طريق العودة ؟

✣ الحقيقة أن موافقة الأنبا يؤانس بقدر ما أسعدتنى وأفرحتنى ، بقدر ما أثارت الألم فى نفس والدى بحكم أنه شماس وقارىء كثيرا عن الرهبنة ومتاعبها ، وسامع بالمشاق التى يعانيها الرهبان فى الأديرة . نظرت إلى أبى وقلت له : « من أنا الحقير يا والدى ؟ وأين أنا من مقام أولاد الملوك مكسيموس ودوماديوس اللذين تركا مُلك العالم محبة فى مُلك السماء . » ابتسم أبى وحضننى إلى صدره وقبلنى . وبعد أن وصلنا البيت وعرفّت بالخبر أمى وأخى ميخائيل ، حاول أن يخفف وقع الخبر وقسوته عليهما حتى قبلا الأمر الواقع . أما أنا ، الله وحده يعلم الفرحة التى انتابتنى ، وبدأت أحضّر نفسى منتظرا تعليمات الأنبا يؤانس بتحديد ميعاد السفر للدير . ومع ذلك لازمت الرهبان الذين كانوا يدرسون بالكلية اللاهوتية بالإسكندرية ، كما بقيت مدة صوم الرسل ملازما للكنيسة ليلا ونهارا .

✠ هل لنا أن نعرف ماذا عملت يوم عيد الرسل فى ١٢ يوليو ١٩٢٧ ؟

✣ ذهبت إلى الكنيسة مبكرا أحمل على كتفى قفة كبيرة مملوءة فطيرا أعدته العائلة بمناسبة عيد رئيس الملائكة ميخائيل ، ورفضت أن يحمل « القفة » أحد غيرى ، أو

أستقل عربة بها . لقد استكثرت علىَّ الأسرة أن أحمل القفة وأنا أرتدى بدلة وطربوشا ، وأسير هكذا فى الطريق ، ويرانى الناس على هذه الحال .

✠ ماذا قلت لهم ؟

✠ قلت لهم : « ألم يحمل رسل المسيح الأطهار كل منهم قفة مملوءة من الكسر مما فضل من الخمس خبزات ؟ » ووصلت الكنيسة ، ووزعت الفطير ، معلنا اغتباطى برضى الله وقبولى لأسلك طريق الرهبنة .

✠ متى التحقت بدير البراموس ؟

✠ استدعانى الأنبا يؤانس ، وحدد لى ميعاد السفر إلى دير البراموس مع القس بشارة البراموسى ، وزوده بخطاب توصية لأمين الدير ليقبلنى فى سلك الرهبنة ، وذكانى بشهادة حسنة عنى وعن عائلتى ، وأوصى القس بشارة أنه عند عودته فى أول أكتوبر ١٩٢٧ تكون الأمور قد تكشفّت أمام عيناى ، وأن يحتفظوا لى بملابسى فى القصر الملحق بالدير لأستخدمها إذا ما أردت العودة .

✠ بالطبع ، فى صباح يوم ٢٧ يوليو ١٩٢٧ ، بكّرتَ ورتبتَ متاعك ، وتوجهت إلى محطة السكة الحديد ، وكان فى وداعك الكثيرون من الأهل والأصدقاء .

✠ ومنهم رئيسى المباشر « ألفريد فاضل » الذى أبلغنى تحيات مدير عام الشركة الذى كرر على مسامعى أنه محتفظ لى بعملى وأستطيع العودة إليه فى أى وقت أشاء دون عائق .

✠ أعتقد أن هذا القول من ألفريد فاضل أثار ضحكك .. فكل الدلائل تؤكد سعادتك لقبولك بسلك الرهبنة ، وأنه لا رجعة فى قرارك ؟

✠ هذا صحيح ... المهم ، استقلينا قطارا من إيتاى البارود إلى الخطاطبة ، وقطار الجبل إلى الهوكارية ، فوصلنا مع الغروب ، وكان فى انتظارنا رهبان من الدير ومعهم دواب لحمل الأمتعة . وسرنا فى الجبل قرابة الساعة والربع ، وصلنا بعدها الدير .

✠ ماذا حدث عندما نزلت من القطار فى الهوكارية ؟

✣ لقد وجدت الكمسارى لا يرتدى طربوشا . وعندما سألته السبب ، أجاب أنه لا يملك ثمنه . فأعطيته طربوشى ، كما أعطيت چاكت البدلة للسائق ، ووعدته بإرسال القميص والبنطلون له بمجرد وصولى إلى الدير . وفعلا ، أرسلتهما له مع شخص كان عائدا من زيارة الدير .

✠ لقد أردت أن تؤكد بهذا العمل أن قرارك الرهبنة لا رجعة فيه .

✣ وصلنا دير البراموس الساعة الثامنة ، واعتقد الرهبان أننى أحد الزوار الكبار ، فاستقبلونى بحفاوة بالغة ، ودقوا الأجراس ، وغسلوا لنا الأرجل كما هى عادة الرهبان .

✠ لقد كان هذا اللقاء بهذه الحفاوة ينبىء بعظم شأنك المستقبلى .

✣ فور وصولنا الدير ، قدمنى القس بشارة لأمين الدير القمص شنودة على أننى زائر من الإسكندرية من أبناء الأنبا يؤانس .

✠ لذا أنزلك بقصر الدير ، وأدار ماكينة الكهرباء لينير لك القصر ، وقدموا لك العشاء .

✣ فى صباح اليوم التالى ، قدم القس بشارة خطاب الأنبا يؤانس لأمين الدير ، وعرف منه أننى طالب رهبنة وليس بزائر . ودق جرس الدير ، وحضر جميع الرهبان عند سماعهم دقاته ليستطلعوا الخبر ، فأعلمهم أمين الدير بما كان .

✠ واستبشروا خيرا ، وقالوا إنك أول طالب رهبنة يقابَل بهذه الحفاوة ، ولابد أن يكون لك شأن يذكر .

✣ أرشدنى أمين الدير إلى قلاية خصصها لى لأقيم فيها ، وكانت خالية ، متروكة منذ زمن طويل ، وتحتاج إلى الكثير من النظافة ، كما أرشدنى إلى المكان الذى يوضع به الخبز لآخذ منه حاجتى ، ثم مضى .

✠ كم كان عمرك عندما وصلت الدير طالب رهبنة ؟

✣ لقد كنت فى الخامسة والعشرين من عمرى .

✠ هل أقمت فى القلاية الخالية المتروكة منذ زمن على وضعها ؟

✢ بالطبع لا . . لقد قمت وأخذت حجر الجبس قبل حرقه ودققته جيدا فى أرضية القلاية ورششته بالماء فصار متماسكا جدا . وأخرجت من شنطتى ورقا سميكا أحضرته معى وفرشت به أرضية القلاية ، ورتبت مكانا لنومى ومكانا لجلوسى . ووضعت حقائبى لتصبح كمائدة تتوسط المكان . وارتديت جلبابا أسود وطاقية « وكان كل اللى يشوفنى يتهيأ له كأننى ولدت راهبا من زمن » .

✠ ماذا قال أمين الدير للقس بشارة بخصوصك ؟

✢ تقصد حين كان القس بشارة متلهفا للاطمئنان علىّ ، وخاصة أنه لم يقدم لى أحد من الدير أية مساعدة . لقد نبهه أمين الدير أن يتركنى وشأنى فترة قصيرة من الزمن لتظهر آثار ما لاقيته من معاملة فى نفسى ، وليعلم قدرتى على تحمل صعاب الطريق الجديد .

✠ ماذا كنت تعمل فى أيامك الأولى فى الدير ؟

✢ كنت مواظبا على الصلوات ؛ فإذا ما دق جرس نصف الليل ، أقوم متوجها إلى الكنيسة لأشترك فى التسبحة والصلاة ، وأعود إلى قلايتى نحو الساعة السابعة صباحا دون أن أختلط بالرهبان .

✠ ألم يتفقدك أحد من رهبان الدير أو سأل عنك خلال الأيام الأولى ، باعتبارك طالب للرهبنة ، ليسأل كيف حالك ؟

✢ فى مساء أحد السبوت ، وكان قد مضى على مقدمى أيام معدودة ، فوجئت بمن يطرق باب قلايتى ؛ لقد كان أمين الدير والقس بشارة معه والقمس بشاى والقمص باسيليوس والقمص عبد المسيح المسعودى ، وكلهم من شيوخ الدير . دخلوا القلاية ، وأعجبوا بترتيبها الجميل ، وتعجبوا مما رأوا . كما أنه من حديثهم عرفت أن سرورهم كان عظيما عندما وجدوا أمام القلاية نظيفا ومكنوسا ومرشوشا .

✠ لقد قال لهم أبونا عبد المسيح المسعودى : « أصله حارت ومستنى السيل » . ماذا كان يعنى بذلك ؟

✢ كان يقصد أننى أعددت ذاتى لقبول سيل نعمة الله .

✠ عند انصراف الرهبان ، ودعتهم بكل الاحترام ، وقال القمص عبد المسيح لك حديثا قصيرا كان بمثابة عظة ونصيحة فى ذات الوقت . . هل تذكرها ؟

✢ قال : « يا ابنى ، إن نعمة الرهبنة هى بتسليم القلب لله ، وهى أعظم المقتنيات ، وأثمن من كنوز الأرض وخيراتها . والراهب الذى افتقر باختياره ، وجهّز نفسه ليكون جنديا أمينا للمسيح ، لهو أعظم من ملوك الأرض وحكامها قوة ومكانة . وقد اتسع قلبى لك ، وأسأل ربى يسوع المسيح أن يوفقك ، ويفتح لك باب النعمة ، ويهديك إلى سبيل البر ويملأ قلبك اطمئنانا لتسير فى غربة الحياة آمنا ، فلا تخاف شرا والله معك ، وعصاه وعكازه يهديانك » .

✠ لقد سجدت وقبّلت يديه ، أما هو فقد احتضنك وقبّلك ، وقال لك : « منذ هذه الساعة قد وهبك لى الرب لتكون ابنا مباركا » . فتهلل الآباء فرحين .

✢ ومنذ ذلك الوقت ابتدأت تلمذتى للقمص عبد المسيح المسعودى الذى كشف لى الكثير من أسرار الرهبنة وطرقها المستقيمة ، وتدرجت على يديه فى النعمة .

✠ لطاعتك وعبادتك ووداعتك ، ولاختيارك أشق الأعمال ، كما أوليت شيوخ الدير الذين تقدمت بهم الأيام عناية خاصة . . تغسل لهم ملابسهم وتنظف لهم قلاياتهم ، وتهتم بأكلهم ، وأنت سعيد بهذا العمل .

✢ صدقنى ، ما كنت أزور أحدا إلا لخدمته . وقد بارك الآباء الشيوخ جهودى ، وسألوا الله لأجلى .

✠ لقد اعتاد أمين الدير ترتيب الخدمة أول كل شهر بين الرهبان القادرين على العمل . ماذا كان من نصيبك ؟

✢ أن أدير المطبخ مع راهبين آخرين . وكان ذلك فى بدء صوم العذراء أم النور . فقمت بنظافة الأوانى النحاسية ، ورمّمت كوانين المطبخ ، واعتنيت بمياه الشرب وغسل الجرار الكثيرة جيدا حتى صارت صالحة لحفظ مياه الشرب ، وملأت جرة لكل شيخ غير قادر على الذهاب إلى طلمبة المياه .

✠ لقد صادف هذا العمل ارتياحا عظيما من الآباء الذين قدّروا لك حسن صنيعك . وكان رائدك القمص عبد المسيح المسعودى يرشدك ويحثك على الاجتهاد دون أن يسمعك كلمة مديح .

✠ ولكنه كان يحدثنى عن فضائل الآباء الأولين ، مبينا لى عظم تواضعهم ، وكيف كان الواحد منهم يملأ للرهبان جرارهم كل ليلة بماء يجلبه من آبار تبعد عن الدير أميالا كثيرة ، ويرجو الله أن يتقبل أتعابى رائحة بخور وحمد وشكر .

✠ هل هناك أعمال أخرى كنت تقوم بها فى الدير ؟

✠ طحن الغلال وعمل الخبز وعجن القربان ، قارنا كل هذا بمداومتى على الصلاة والتناول من الأسرار المقدسة ، ودراسة الكتب المقدسة وكتابات الآباء .

✠ بعد أن احتفل الرهبان بمستهل سنة الشهداء ، واستعد الآباء - طلبة الكلية اللاهوتية - لمغادرة الدير والسفر إلى الإسكندرية ، لماذا أحضرك أمين الدير وعرّفك بميعاد سفرهم ؟

✠ كى يعطينى فرصة أخيرة للعودة معهم أو البقاء بالدير .

✠ وماذا قلت له ؟

✠ تصحبهم السلامة ، ورائدهم التوفيق . أما أنا ، فاسمح لى أن أسير فى الطريق الذى بدأته ، ويقينى أن الله لا يترك طالبيه .

✠ بماذا رددت على القس بشارة حين طلب إليك أن ترسل لذويك خطابا تطمئنهم عليك ؟

✠ قلت له : « لم يرسل يوسف لأبيه خطابا عندما دعاه ليحضر لمصر ، بل قال لإخوته : أخبروا أبى بما رأت عيونكم وما سمعته آذانكم . وها أنا الضعيف أتشبه بما فعله يوسف . وأرجو آبائى المسافرين أن يعرّفوا أهلى بما منحنى الله من نعمة على يد آبائى .

✠ بمن تأثرت فى حياتك ؟

✠ لقد تأثرت بالقمص حنا جرجس الكبير بالإسكندرية ، والأرشيدياكون اسكندر حنا

الواعظ المعروف . أما فى حياتى الرهبانية ، فالشخصية التى كان لها أعمق الأثر فى نفسى هى شخصية معلمى العظيم القمص عبد المسيح المسعودى الذى كان يتكلم عدة لغات منها السريانية والقبطية ، ووضع كتبا فى قواعد اللغة العربية ، وله فيها كتاب الهمزة الذى أعجب به علماء الأزهر ، كما كان عالما فى طقوس الكنيسة وله فيها كتبا كثيرة ، منها الخولاجى الكبير .

✠ لقد أشار عليك القمص عبد المسيح أن تصدر مجلة دينية بالدير ، فماذ أسميتها ؟

✣ أسميتها مجلة ميناء الخلاص . . لقد كنت أكتبها بيدى ، رغم أن عدد النسخ لم يكن يقل عن خمسين نسخة مكونة من اثنى عشرة صفحة ، مبوبة تبويبا حسنا ، وأرسلها شهريا لتوزع بين الأخوة والأحباء ، ولجح هذا العمل الذى كلفنى الكثير من الجهد والدرس والبحث . لقد ظللت أستمر فى تحريرها سنين .

✠ هل لنا أن تعرف قصة الراهب أرمانيوس والبغل الحرون ؟

✣ كان الراهب أرمانيوس مكلفا بتوصيل البريد يوميا إلى القرية القريبة من الدير ، وإحضار احتياجات الرهبان ؛ وكان يستخدم بغلا فى تنقلاته . وكان هذا البغل شرس الطباع ، حتى أنه ذات مرة أوقع أرمانيوس على الأرض وأصابه إصابة شديدة ، وهرب فى الجبل . وتعب الراهب فى البحث عنه طول اليوم حتى خارت قواه ، فعاد إلى الدير متأخرا ، فوجد الرهبان ينتظرون مجيئه قلقين . ولكن أحد الرهبان الغيورين على مال الدير سأله عن البغل وكيف عاد بدونه ، وطلب إليه ألا يدخل الدير إلا بعد إحضاره . وبالرغم من حداثتى فى الدير ، قلت للراهب الغاضب أن يسمح للراهب بالدخول ليستريح ، وسوف يجد أحد الأعراب البغل ويحضره للدير كما هى عادتهم . ولكن الأخ الراهب لم يقتنع ، وظل فى ثورته . فنصحه الرهبان بالهدوء ، وعرّفوه أن رأيى معقول ، وخاصة بعد تأكيدى أننى سوف أشترى بغلا آخر على حسابى . وما هى إلا لحظات حتى دق الجرس ، وإذا بالباب أحد العربان ومعه البغل الجموح ، فأخذناها منه ، ومنحناه « اللى فيه النصيب » .

✠ المهم أن الرهبان فى الصباح وقفوا يتشاوروا من الذى سوف يحضر البريد .

✣ لقد تطوعت أنا للقيام بهذه المهمة ، رغم محاولة أمين الدير أن يثنينى عن عزمى ،

وأصريت على رأيى ، وطمأنته بأننى متمرن على ركوب الخيل . وركبت البغل الذى أخذ يثب ويجمح ، وصليت أن يجعلنى الله أسوسها فى هدوء ، وقد كان .

✠ إن كل ما قمت به من أعمال فى الدير يؤكد اكتسابك رضا الرهبان كبيرهم وصغيرهم ، ويستدعى تذكيتهم لك لتكون راهبا بينهم .

✠ وهذا ما حدث . فبعد أن ابتدأوا صلاة عشية ، ثم صلاة نصف الليل ، سجدت أمام هيكل كنيسة العذراء الأثرية ، وعن يمينى جسد أنبا موسى الأسود وعن يسارى جسد أنبا إيسيذورس قس القلالى . وتمت طقوس رهبنتى ، ودعوا اسمى « مينا » ، وحضرت القداس فى الصباح . وبعد ذلك طافوا بى أرجاء الكنيسة بالشموع والصلبان . وتباركت من أيقونات القديسين ، وتقدم إلىّ القمص يعقوب البراموسى وباركنى ، وقال لى : « يا ابنى ، ليباركك الرب ويؤهلك للنعمة ويُنجح طريقك لتسير فى فلاح وتوفيق ، ويفيض عليك من روحه القدوس ، لتكون أمينا إلى النفس الأخير على الوزنات التى سيسلمها لك يسوع لتتاجر وتربح » .

✠ وكانت هذه الكلمات مصدر سعادة الآباء ، وقالوا جميعهم : « نعم ، ليكون هذا » .

✠ ودخلت حياة جديدة ، ووضعت قدمى على أولى درجات سلم جهادى بعد الرهبنة ، ووضعت لنفسى قانونا سرت عليه مدى حياتى ، وهو : « أن أحب الكل ، وأنا بعيد عن الكل » .

✠ ماذا يعنى ذلك ؟

✠ لقد كنت أخشى أن أدخل فى علاقات بشرية تبعدنى عن العبادة المستمرة . لقد ظللت أمارس العبادات الشاقة ، فداومت الصلاة والأصوام والتقرب من الأسرار المقدسة .

✠ كما كنتَ وديعا متسامحا ، لا تسلم نفسك للغضب مهما قابلت من صعاب أو لاقيت من إهانات ، دافعا الإساءة بالإحسان . كما تعاونت مع أخوتك الرهبان فى كل أمر ، وخففت عن الشيوخ أثقال الأعمال ، وتوليت خدمة الضعيف منهم ، واعتنيت بالمريض دون أن تبغى مديحا زائفا .

✠ لقد كان مما اعتنيت به مكتبة الدير ، رتبت كتبها ، ولازمت قراءة الكتب المقدسة وتعاليم الآباء فتُتحَت أمامى أبواب المعرفة ، وانجلت أمامى الغوامض . كما انكببت على كتابات مار اسحق السريانى العظيم ، فأرشدتنى كيف أسلك الطريق ؛ ومن شدة شغفى بهذه الكتابات ، ، نسختها فى خمس مجلدات جلّدتها تجليدا حسنا ، وعاودت نسخها أربع مرات طمعا فى زيادة المعرفة والتعمق فى الدرس ولنفع الآخرين .

✠ كما استرشدت فى حياتك أيضا بأقوال القديسين ، مثل الأنبا أنطونيوس والأنبا شنودة رئيس المتوحدين والقديس مكاريوس وغيرهم من القديسين العظام .

✠ كذلك لا تنسى أننى توليت عمل القربان بصفة مستديمة موليا إياه عناية خاصة . لقد كنت أخبزه بنفسى .

✠ ما هو تاريخ رسامتك راهبا ؟

✠ ٢٥ نوفمبر ١٩٢٨ .

✠ ما سر تسميتك بالراهب مينا ؟

✠ الحقيقة أننى تمنيت أن أسمّى باسم حبيبى مار مينا . وحدث فى ذلك اليوم أن الآباء بالدير قد قرروا أن يسمونى حسب قديس اليوم فى السنكسار . وكم كانت صدفة عظيمة ، فقد كان اسم القديس مينا الراهب ، وهو بخلاف مار مينا العجايبى .

✠ متى رُسمت قسا يا أبانا ؟

✠ فى يوم الأحد ١٨ يوليو ١٩٣١ ، رُسمت قسا باسم مينا ، وصلى قداس الرسامة الأنبا ديمتريوس مطران المنوفية . وكان ضمن الحاضرين يوسف جرجس سكرتير البابا وشقيقاى حنا وميخائيل ، وكذلك المعلم ميخائيل الذى كان كبيرا لمرتلى الكنيسة المرقسية .

✠ وظللت طوال القداس تبكى ؛ وأبكيت معك الحاضرين . وبعد القداس ، طافوا بك الكنيسة الأثرية بالدفوف والألحان وأمامك الصلبان .

✢ وقد خرجت بعد نوالى البركة العظيمة فرحا ، لأننى شعرت بالعزاء يملأ قلبى . كما سعدت حين أخبرنى أخى حنا بأنه سوف يحضر بعض الأشجار لزراعتها فى حديقة الدير لتكون تذكارا لرسامتى .

✢ لقد كنت أحد الذين وقع عليهم الاختيار للدراسة فى كلية الرهبان اللاهوتية فى حلوان ، فهل لنا أن نعرف جانبا من حياتك فيها ؟

✢ لقد أطعت مرغما الذهاب لكلية الرهبان ، لأننى كنت أحب حياة العزلة فى الدير . ومع ذلك انتظمت وأظهرت تفوقا ملحوظا . واخترت زميلا أنست إليه وارتاحت نفسى لمصاحبته هو القمص كيرلس الأنبا پولا . وقد رتبت معه أن نقوم برفع بخور عشية كل ليلة ، وإقامة القداس فى الصباح الباكر قبل بدء الدراسة ، وسار هذا النظام أياما .

✢ ولكن هذا الترتيب لم يعجب بعض الرهبان الدارسين ، فقاموا ليلا وهدموا الفرن الذى كنت متعهدا خبز القربان فيه .

✢ استيقظت كعادتى وعجنت القربان ، وعند الثالثة صباحا ذهبت لأخبزه ، فإذا بى أجد الفرن متهدما ، فأيقظت القس كيرلس وتشاورت معه لإيجاد حل لهذه المشكلة .

✢ وواتتك فكرة نفذتها فى الحال . ما هى ؟

✢ ذهبت إلى صاحب مخبز أفرنجى يقع فى مواجهة بيت الرهبان ، وطلبت منه أن أخبز القربان عنده ، فرحّب الرجل . وقمت بالعمل بنفسى فى إتقان أثار إعجاب صاحب المخبز . وأقيم القداس كالمعتاد .

✢ ماذا كان يقصد الدارسين من الرهبان بهدم الفرن ؟

✢ طبعا عدم خبز القربان ، وبالتالى تتقاعس عن عمل القداسات اليومية .

✢ ولكنك فوّت عليهم الفرصة ، وعرضت مع صديقك القس كيرلس الأمر على مدير الكلية القمص ميخائيل مينا . فعقد مجمعا من الآباء الرهبان ، وأقروا عمل قداس

يومى نُظِّم له جدول خدمة . . لقد كان القداس يقام باكرا جدا قبل ميعاد الكلية . وأصبح هذا القداس اليومى أساسيا فى الكلية اللاهوتية ، وأصبح متمما لبرنامج الدراسة ، وصارت العشية فرصة سانحة للآباء لإلقاء كلمة الوعظ .

✢ لقد أثنى علينا المسئولين ، وكان سرورهم بالغا بالقداسات اليومية بالكلية ، والعظات التى كان يلقيها الآباء فى العشية .

✠ متى رُشحت للأسقفية ؟

✢ ذات يوم حضر الأنبا يؤانس إلى كلية الرهبان اللاهوتية ، وكانت نوبة رفع بخور عشية من نصيبى ، فوقفت وألقيت عظة فى وجود الأنبا يؤانس استغرقت ساعة كاملة ، ساعدنى فيها الرب بالاستشهاد بأقوال القديسين ، وبالأخص أقوال مار اسحق العظيم . لقد أعجب بها البابا وسر منها . وما إن انتهيت من العظة ، حتى تقدمت لطلب البركة من البابا حسب الطقس .

✠ فأثنى عليك ثناءً مستطابا ، وبارك جهودك ، ودعى لك أن تكون عامودا فى هيكل الرب .

✢ ثم أفصح البابا عن رغبته لمدير الكلية فى رسامة مطران للغربية والبحيرة ، وصرح له أنه يود لو رسمنى أسقفا لهذا الكرسى . لقد زفّ إلىّ القمص ميخائيل هذه البشرى ظنا منه أنها ستنال استحسانى .

✠ إلا أنك عدت إلى قلايتك مهموما ، ثم التقيت بصديقك العزيز القس كيرلس الأنبا پولا وهمست له بعزمك على السفر إلى دير القديس الأنبا شنودة رئيس المتوحدين بسوهاج لتحيا هناك حياة الوحدة .

✢ لقد تعب معى كثيرا القس كيرلس ، لقد ظل طوال الليل يحاول أن يثنينى عن عزمى وأن أسلم أمرى لله وأطيع وأقبل هذه الموهبة . ولكنى أصررت على عزمى ، واستقليت القطار إلى سوهاج ، ومنها توجهت إلى الدير .

✠ لقد سبب اختفائك انزعاجا وقلقا ، خاصة أن القس كيرلس كتم الأمر فى نفسه ؛ واستُدعى شقيقك وسألوه عن مكان إقامتك ، وطلبوا إليه البحث عنك حتى لا تنال غضب البابا .

✠ لقد رجع أخى إلى القس كيرلس الأنبا بولا ، وتوسل إليه بالدموع أن يكشف له سر اختفائى ، فتحنن قلبه وعرّفه الحقيقة .

✠ وبعد جهود مشكورة بُذلت ، رجعت لتلقى عتابا ولوما بالغى القسوة من الأنبا يؤانس .

✠ ولكننى احتملت فى صبر ، ثم كشفت للبابا عن رغبتى فى الوحدة . وقد قدّر البابا هذه الرغبة ، وصرح لى بالرجوع إلى الدير لأستريح ، وأن أتبع الطريق الذى سوف يرسمه لى أبى ورائدى القمص عبد المسيح المسعودى .

✠ هل أستأذن يا أبانا وأستفسر عن سبب رفضك الأسقفية ؟

✠ لقد اعتذرت عن المنصب لأننى لم أكن مستحقا له ولا أقدر على هذه المسئولية ، وقد صارحت البابا بذلك ، فسمح لى بالعودة إلى دير البراموس .

✠ لم نعرف السر وراء حبك للقداسات الكثيرة التى اعتدت أن تصليها يوميا .

✠ لقد كنت أعزم على التوحد ، كما كنت أريد مشورة الله فى هذا الشأن عن طريق القداسات .



✠ أعتقد يا أبانا المبارك أنه بموافقة البابا الأنبا يؤانس على عودتك إلى دير البراموس ، بدأت مرحلة التوحد .

✢ ليس بهذه السهولة . فقد اجتمع مجمع الرهبان ، وحاولوا إقناعي بالعدول عن دخول الوحدة ، خوفا عليّ من مخاطرها الروحية . فمنهم من قال لي : « إن الكثير من الرهبان الذين أمضوا في الرهبنة ثلاثين أو أربعين سنة ، فشلوا في سلك طريق الوحدة . فما بالك أنت يا ابن الثلاثين سنة الذي لم تمض في الرهبنة خمس سنوات ؟! » ومنهم من اتهمني بمحاولة الهروب من المسئولية سواء كان في الكلية أو في الدير . ومنهم من لمح لي بالمخاطر الجسدية ممثلة في وحوش سوف تهاجمني وثعابين سامة سوف تهلكني ، وأجمعوا ، بعد أن أظهروا خوفهم من إقامتي في مغارة منفردا بالصحراء ، بأنهم لا يوافقون على توحدي .

✠ هل نزلت على رأيهم ؟

✢ لقد تحملت بصبر هذه الحملة العنيفة ، ورفعت عينيّ إلى السماء طالبا من الرب يسوع أن يمدني بما أتكلم به مع آبائي .

✠ وقلت لهم في هدوء أنك تعتز بمحبتهم وغيرتهم عليك ، والتمست منهم كابن طائع خاضع لرأيهم ، وهم الذين قطعوا شوطا كبيرا في طريق العبادة ، ويعلمون من أسرار هذا الطريق الذي تتوق إليه نفسك أكثر مما تعلم ، بأن الرب يسوع يهيىء لك السير في هذا الطريق الضيّق المؤدي للحياة لكل طالبيه بضمير نقي وفكر خال من جميع الشهوات .

✢ وطلبت منهم أن يطمئنوا ، وسأكون الابن الخاضع للإرشاد والنصيحة ، ولن أقدم على عمل أو أسير خطوة دون أن أسترشد برأى أبي ورائدي الذي تفضل الله وملأ قلبه محبة وحنانا لشخصي الضعيف .

✠ لقد اتجهت الأنظار إلى رائدك القمص عبد المسيح المسعودي ليسمعوا رأيه .

✢ لقد قال لهم أبونا عبد المسيح ألا يخافوا من ذهابي إلى المغارة ، وأن يطمئنوا عليّ لأن الله بقوته وقدرته سوف يمسك بيدي ويهديني الطريق .

✠ وأنه قد اطمـأن لتصرفاتـك ، لأنك تسـير فى طريق الرب بحكمة الشـيوخ وبقلب مؤمن ، وأنه رأى بعين الإيمان أنك ستنجح فى طريقك لأنك مفروز من بطن أمك لهذه النعمة .

✠ وطلب إليهم ألا يقف الرهبان فى طريقى حجر عثرة .

✠ أعتقد أنهم بعد ذلك ، قد وافقوا فى سهولة ويسر على طلبك .

✠ مع الأسف ، ما إن انتهى القمص عبد المسيح من إبداء الرأى ، حتى انبرى أحد شيوخ الرهبـان – وكان يحبنى – سـائلا إياه : « ألست أنت لك أربعين سنة فى طريق الرهبنة ، هل فكرت يوما أن تسير فى طريق الوحدة ، بل هل فكر أحد من شيوخ الرهبان فى الدير فى سلك هذا الطريق ؟ »

✠ وطلب إليه راجيا أن يتركك أيها الراهب الصغير وشأنك ، وأن ينصحك أن ترجع إلى الكلية اللاهوتية لتنال شهادتها ، وتعود لخدمة الدير حتى يشاء الله أن يعطيك رتبة حسنة كمن سبقك من الآباء .

✠ غير أن القمص عبد المسيح أجابه بروح الوداعة بأن يدعنى أسير فى طريقى ، ولا تغلبنه عاطفة الشفقة والمحبة ، فتمنع عنى نعم الله .

✠ لم يرض هذا القول شيخ الرهبـان ، وازداد حماسـا ، وقال للقمص عبد المسيح فى عنف : « لماذا لم يسر هو فى هذا الطريق ، وكيف يدفع غيره للسير فيه ، وهو طريق شاق ضيق لا يقوى عليه إلا من أعانه الله وأيده بروحه القدوس ؟ »

✠ لقد انتظر القمص عبد المسيح حتى خفف الراهب من احتداده وثورته ، وطلب الاحتكام فى طلبى للأخوة ، وأنه سوف يوافق ، كما أننى سوف أقبل معه ما سوف يقرره الآباء .

✠ لقد كان الموقف صعبا . ساد الصمت لحظة ، قام بعدها القمص شنودة والقمص باسيليوس والقمص باخوم والقمص جورجيوس والقمص لوقا ، وقالوا بلسان واحد : « فلتكن مشيئة الرب . ولتسلم يا أبونا مينا لعناية الله وإرشاد أبيك القمص عبد المسيح ، والله أمين وعادل وسيهديك إلى سبيل البر ، ويقودك إلى طريق السلامة . »

✠ لقد صرخت فرحا مهللا : « ليكن اسم الرب مباركا . » وقدمت مطانية لآبائى وإخوتى ، وسجدت لهم ثلاث سجدات اعترافا بمحبتى لهم .

✠ وبتوحدك فى مغارة تبعد عن الدير ثلاثة كيلومترات يا أبانا القس مينا البراموسى بداية مرحلة جديدة صرت فيها شريكا للملائكة فى تسبيح الله وتمجيد اسمه القدوس . لذلك ألتمس من قداستك أن تقدمها للمحبين ليحصلوا على بركتها يا سيدنا الحبيب .



✠ المغـارة التى توحدت بها تبعد عن الدير مسافة سـاعة سيرا على الأقدام . كانت فيما مضى سـكنا للقمص صرابمون البراموسى رئيس الديـر السابق ، مسـاحتها ٦ × ٨ متر ، منحوتة فى الصحراء لعمق ثلاثة أمتار . عندما توجهت للإقامة بها ، وجدتها فى حاجة إلى ترميم ، فنقلت إليها ماءً وجبسا من الموجود فى الدير بكثرة ؛ ورممت السقف والأرضية والحوائط ، وجعلت لها بابا . وبعد أن أصبحت صالحة للسكنى ، حملت إليها جميع حاجاتى وطاولة خشب ، وجرار فخار للماء ، وبعض الأوانى . كما أخذت إليها بعض البقول والدقيق . أما الخبز ، فلم آخذ منه أكثر من قوت يومى .

✠ لقد ودعك الآباء وهم يدعون لك بالتوفيق .

✠ وأخذت عليهم العهد ألا يزورنى أحد ، وألا يهتم بى أحد ، متعهدا بأن أحضر للدير مساء كل سبت لأشارك فى صلاة العشية ، ولأتمكن من التقرب من الأسرار المقدسة صباح الأحد .

✠ وكى تغسل ملابسك وملابس الآباء الذين أقعدتهم الشيخوخة أو المرض عن قضاء حوائجهم بأنفسهم .

✠ استقريت فى المغارة ورتبت إقامتى فيها كترتيب القلاية بالدير ، ومارست العبادة طبقا لطريق الوحدة .

✠ ماذا تقصد بالعبادة طبقا لطريق الوحدة ؟

✣ أقصد مداومة الصلاة وعمل المطانيات ونسخ الكتب . لقد كنت أمضى فى هذه الأعمال أكثر من عشرين ساعة يوميا .

✠ من المؤكد أن عودتك إلى الدير فى نهاية الأسبوع الأول لتوحدك كى تحضر العشية ، قد أثار فضول الرهبان ، وكثرت أسئلتهم عما رأيت وما كابدت من مشاق .

✣ لقد أجبت على أسئلتهم باقتضاب ، وقلت لهم باسما : « إننى لم أجاهد حتى الدم ، فاطمئنوا . »

✠ لقد انفردت بعد لقاء الرهبان بأبيك القمص عبد المسيح ، لماذا ؟

✣ لا تنسى أننى قد عاهدته قبل التوحد فى المغارة ألا أخالف له رأيا ولا أخفى عنه أمرا . كما كان هو يشجعنى ويزودنى بنصائحه . لذلك كان من الضرورى أن أكشف له خبايا قلبى .

✠ على كلٍ ، لقد استراحت قلوب آباء الدير من جهتك ، خاصة وأنهم كانوا يرون السعادة بادية على وجهك .

✣ لقد كانوا ينتظرون مقدمى كل يوم سبت ليطمئنوا علىّ .

✠ وكم كان منظرك خاشعا وأنت عائد إلى مغارتك حاملا الماء والزاد ، مرتديا زعبوطك الخشن الملمس ، وبيدك عصاك التى تتوكأ عليها .

✣ ما أجمل تلك الأيام فى التأمل والصلاة ، لقد ذقت فيها جمال الحياة مع المسيح .

✠ من زارك فى المغارة خلال فترة إقامتك بها ؟

✣ زارنى الدكتور حسن فؤاد مدير الآثار وبصحبته مدير كلية اللاهوت بنيو يورك ، وكان ذلك عام ١٩٣٣ . ذات يوم ، سمعت طرقا على باب المغارة لأول مرة منذ توحدى . ففتحت الباب ونظرت ، وإذا بالإعرابى الذى اعتدت أن أراه بين الحين والحين ، ومعه رجلين . ابتسمت لهما مرحبا ، ودعوتهما للدخول . نزلا سلم المغارة بحذر ، وأجلستهما على بطانية فرشت فوقها ملاءة بيضاء نظيفة وجديدة .

وعرّفانى بنفسيهما ؛ أحدهما دكتور حسن فؤاد والآخر مدير كلية اللاهوت بنيو يورك .

✠ هل كان هناك سبب لتلك الزيارة ؟

✣ لقد قال لى مدير كلية اللاهوت أنه طلب من زميله دكتور حسن أن يتنزه فى الصحراء خارج دير البراموس ، وسارا مسافة طويلة بدون هدف ، حتى تقابلا مع هذا الإعرابى ، وسألهما : « هل ترغبان فى زيارة الراهب المتعبد بالمغارة ؟ » ولو أنهما لا يعرفان شيئا ، لكن حب الاستطلاع قادهما نحوى .

✠ ألم يخبرك الزائر لماذا جاء إلى مصر ؟

✣ لقد شرع فى وضع كتاب عن أصل الرهبنة ونشأتها فى مصر ، وأنه يحاول التعرف على تعاليم أب الرهبان جميعا القديس أنطونيوس ، وآباء برية شيهيت ، وآباء الكنيسة الأرثوذكسية ؛ وقد بذل جهدا كبيرا فى الاطلاع فى مكتبة البطريركية والمتحف القبطى ، كما زار أديرة وادى النطرون . ولكن المعلومات التى جمعها كانت محدودة للغاية .

✠ أعتقد أن الفرصة قد واتت الزائر الأمريكى للقياك ، والتزود بما يرغب من معرفة عن حياة آباء الرهبنة ، خاصة وأنت تعرف الإنجليزية وتجيد التحدث بها .

✣ لقد رويت له حياة القديس أنطونيوس والأنبا پولا أول السواح والقديس مكاريوس أب برية شيهيت والقديس باخوميوس أب الشركة ، ثم قرأت عليهما أجزاء من كتب مار اسحق السريانى ، موضحا لهما فلسفة الرهبنة وطرقها ، وكيف يعد الراهب نفسه لنوال المواهب . لقد استغرق الحديث وقتا طويلا ، وهو يدون ما يسمع .

✠ لقد قال لك فى نهاية اللقاء أن ما جمعه من معلومات فى شهرين لهو شيء ضئيل جدا بالنسبة إلى ما عرفه منك ولما عزم الباحث الأمريكى على الانصراف بصحبة الدكتور حسن ، قدّم لك ما فى جيبه من ريالات وعملات فضية بزعم أنها هدية رمزية تذكره بها .

✣ ولكننى رفضت قبول هذه العطية ، لقد قلت له : « ما حاجتى إلى هذا المال ؟ إن

محبته أصل لكل الشرور ، وهو معوق طريق الوحدة . » ورجوته أن يرد نقوده إلى جيبه مشكورا ، وسيكون هذا مبعث سرورى وراحتى ؛ فنزل الرجل على رغبتى .

✠ وازداد إعجابه بك واحترامه لك . أما مدير الآثار العربية دكتور حسن -

✠ فقد حيّانى بحرارة ، وقال لى : « يا أبى ، لقد رفعت رأس الرهبان ، وشرّفت الرجل المصرى ؛ فلك منى تحية حارة . وأرجو أن أبرهن عن عمق تقديرى واحترامى لك يوما ما . »

✠ ولكنهما رغم تأثرهما بفيض المعلومات التى لديك ، ورفضك منحة الباحث الأمريكى -

✠ إلا أنهما أسفا لرفضى أن تؤخذ لى صورة ليضعها فى صدر الكتاب المزمع إصداره .

✠ ألم يزرك البابا يؤانس فى مغارتك ؟

✠ ذات يوم ، أراد البابا يؤانس أن يزورنى فى مغارتى التى كانت تبعد عن الدير نحو الساعة مشيا على الأقدام . لقد حاول رئيس الدير ومن معه من الآباء أن يثنوه عن عزمه تجنبا لمشاق الطريق ، ولكن البابا لم يستجب لرجائهم . وأثناء سيرهم فى الصحراء ، أرسل رئيس الدير راهبا لى ليطلب إلىّ المجىء لمقابلة الأنبا يؤانس فى منتصف الطريق وأوفر عليه عناء التعب .

✠ فذهبت إليهم مسرعا ، وسجدت للبابا ، وقلت له أنك لست مستحقا أن يتعب لأجلك ، ولكن الأنبا يؤانس أصر على أن يذهب إلى المغارة ، لأنه كان يريد أخذ بركة المكان الذى صار أرضا مقدسة بعرقك وجهادك .

✠ وجاء إلى المغارة ، ونزل سلمها الضيق ، وجلس على فراشى ، وتذوق الخبز الذى كنت أعده يوميا ، كما عرّفته ترتيب حياتى اليومية ؛ فباركنى ودعى لى بالتوفيق .

✠ وعند عودته إلى الدير ، سرت بمعيته مسافة قصيرة .

✠ ولكن سيدنا البابا أشفق علىّ ، وأمرنى بالرجوع إلى مغارتى ، فأطعت .

☩ هل لك يا أبانا أن تلقى الضوء على المشكلة التى حدثت بالدير بسبب السبعة رهبان الذين قرر الدير طردهم ؟

☩ كان ذلك يوم سبت لعازر عام ١٩٣٦ . قصدت الدير ، وشعرت بتحركات غير عادية حول الدير . . خيول وجمال وجنود . دخلت مستغربا ، وعرفت أنه تقرر طرد ٧ رهبان . وضعت حاجياتي جانبا ، ودخلت قاعة الاستقبال بالقصر ، فوجدت رئيس الدير جالسا فى الصدارة ، وبجانبه العمدة وضابط البوليس والجنود وبعض الآباء الرهبان .

☩ فسجدتَ أمام رئيس الدير ، وقلتَ له إنك جئت لتهنئه بسلامة الوصول ، وتسأل عن صحة ما سمعته حول طرد الآباء الرهبان السبعة .

☩ قال لى : « هذا أمر سيدنا ، وأنا جئت لأنفذه . » قلت له : « إن سيدنا يحزنه ويؤلمه طرد الرهبان فى ليلة أحد الشعانين المبارك ، وأنه لا يرضى بقطع رجاء أخوة فى المسيح ، وأنت رئيسنا وأبو الرهبان وراعيهم ومسئول أمام الله عن المريض والتائه والضال ، وبيدك سلطان قوى مستمد من قوانين الرهبنة وأحكامها الشديدة الصارمة التى تهدى الضال . »

☩ ورجوته باسم صاحب هذه الأيام المباركة أن يرجىء أمر طردهم ، حتى يتقدم آباء الدير بالتماس للبابا ، يقرر مصيرهم ومحاكمتهم داخل الدير ، فلا يطردهم فى هذه الأيام المقدسة .

☩ لقد ثار الرئيس لكبريائه ، إذ كيف أتجاسر وأنا قس حديث الرهبنة ، وأمام هذا الجمع ، أن أعترض أوامره ، وشيوخ الدير الأقدم منى لم يفتح أحدهم فاه بكلمة .

☩ وقال لك : « اسمع يا ابنى ، لا تعارضنى فيما أفعل ، حتى لا تكون خارجا على طاعة سيدنا ، كما أنك رجل متوحد لا شأن لك فيما يجرى الآن . »

☩ ولكنى قلت له : « أسألك يا أبى ، من أجل المسيح الذى بذل نفسه عنا ، أن تتمهل ، ولتتصرف بما يرضى أرواح آبائنا القديسين ، لأن تعاليمهم تشفع فى المخالفين والخارجين على القانون ، وتعطى كل واحد جزاءه دون أن تقطع رجاءه . »

✠ فثار الرئيس ، ودعى الجنود أن يخرجوا الرهبان بالقوة ، وأمرك أن تبقى بالدير ولا تعود إلى مغارتك ، حتى يطرح على البابا جريمة اعتراضك على أوامره .

✠ لقد أجبته قائلا : « يا أبى ، لقد وهبت نفسى لخدمة هؤلاء الآباء الذين طردوا بالقوة وبلا رحمة ، وسأكون لهم عبدا حتى يعودوا إلى ديرهم آمنين بقوة الله . »

✠ لقد ارتاع رئيس الدير لما يعلمه من مكانتك عند البابا ، وشعر أن الحقيقة لابد وأن تظهر ، فأوعز للمقدس اسحق ميخائيل وكيل الدير أن يثنيك عن عزمك ، ويقنعك بأنه لا يجب أن تكون لك صلة بهذه المسألة ولا تقحم نفسك فيها ، ولكن محاولة وكيل الدير ذهبت سدى .

✠ وطُرد الرهبان السبعة ، ولهم جميعا ماض مجيد فى خدمة الدير ، وخرجتُ معهم مواسيا ومشجعا ، وقصدنا القاهرة ، ونزلنا بمصر القديمة فى دير الملاك القبلى لدى أبانا القمص داود الذى رحب بقدومنا واستضافنا ليلة بالدير . كما حضر الأستاذ راغب مفتاح والقمص يوحنا شنودة راعى كنيسة المعلقة ومرقص بك فهمى ، واستأجروا لنا بيتا من دورين به عشر غرف ، لكل راهب غرفة ، وجعلنا واحدة للمائدة وأخرى لاجتماعاتنا ؛ وتوليت أنا شراء الحصر والبطاطين وبعض الضروريات ، واستقرينا فى مقرنا الجديد حتى يهيىء الله الأمر .

✠ لقد بادر رئيس الدير بالسفر إلى الإسكندرية ، حتى يمكنه الوصول للبابا قبل الرهبان . وقدم شكواه ضدك ، وصوّرك أمام البابا بصورة الخارج على النظام وقوانين الرهبنة ، وادّعى زورا أنك هجمت عليه وأردت ضربه بعصاة غليظة لولا مبادرة الجنود للحيلولة دون ذلك .

✠ لقد دهش البابا ، وقال لرئيس الدير أنه لا يصدق ما قاله عنى ، لأن تصرفاتى كانت دائما تتسم بالحكمة والتدبير ، وأنه أول من شهد لى عند البابا بذلك ، فكيف يحدث منى هذا ! وأرسل سيدنا البابا لشقيقى الذى كان دائم الاتصال به يطلبه .

✠ فلما ذهب شقيقك إلى البابا ، وجده غاضبا ، وقال له كيف لك أن تتدخل فى شئون الدير وتعترض رئيسه ، وتعتدى عليه بالقول ، وتكاد أن تحطم رأسه بالعصا ، لأنه أراد أن ينفذ أمره بطرد الرهبان السبعة ؟!

✢ لقد أظهر أخى أسفه لسماع طرد الرهبان ، وأكد للبابا أن ما نقله إليه رئيس الدير يجانب الحقيقة ، وطلب إليه أن يحقق فى الأمر بنفسه ، وأن يكون الحكم له وحده فى أولاده ، ولا يسمح أن يسلِّم أولاده الرهبان لعدو الخير ليقطع رجاءهم .

✢ ولما كان البابا يعلم أن شقيقك على صلة مودة بالرهبان المطرودين ، أرسله إلى القاهرة ليلتقى بهم ، وينفرد بك ليعرف الحقيقة التى شرحتَها له بأمانة ، وطلب إليك شقيقك أن تتوجه إلى البابا الذى حضر إلى القاهرة لمعالجة هذا الأمر بالذات .

✢ لقد صممت أن أقابل البابا بمفردى لأطلعه على الموضوع برمته ، وطلبت إلى أخى العودة إلى الإسكندرية ، ويتركنى أناقش الموضوع حسب مشيئة الله مع سيدنا . وعلى ضوء اللقاء مع سيدنا واقتناعه بوجهة نظرى أو رفضها ، يحدد إن كان سوف يقابل الرهبان أم لا .

✢ لقد توجهتَ إلى البطريركية ، وقوبلت مقابلة غير كريمة ، مجاملة من البعض لرئيس الدير ، فلم تكترث بهم ، ودخلتَ الكنيسة قبل أن تتوجه لمقابلة البابا وقدمتَ الشكر لله وصليت طالبا معونته . وهناك ، كان البابا يصلى بالكنيسة الصغرى . وبعد القداس تقدمت إليه ، فقال لك : « سألقاك فى صالة الانتظار » .

✢ لقد قابلنى البابا محتدا ، قائلا : « إنك ما زلت فى أولى درجات الصلاة .. هل خدعك الشيطان وأراد أن يبعدك عن طريق الخلاص .. كيف تتدخل فى أمور ليست لك وأنت عابد بعيد عن الدير والرهبان .. كيف تثور على رئيس الدير ، وكنت تريد أن تحطم رأسه بعصاك الغليظة ؟ »

✢ لقد أجبته بهدوء أن يسوع المسيح أمين وعادل ، ولا ينسى طالبيه ، ويحوطهم دائما بملائكته ؛ وأن الله علّمنا أن نجاهد عن الأمانة حتى الدم .. والذى لا يدافع عن الحق يكون مثل الشيطان .

✢ وأنا ابن الدير .. كيف أرى أمورا تخالف نواميس الدير وتسىء إليه ، وأقف مكتوف الأيدى ؟ لم أقاوم أبى رئيس الدير ، ولم أسىء إليه ، بل بكل احترام وإجلال التمست منه من أجل خاطر المسيح ، الذى جند نفسه لخدمته ، ألا يقطع رجاء هؤلاء الآباء الرهبان ، وأن يحاكمهم بقانون الرهبنة ، ولا يبعدهم عن حظيرة الرجاء فى وقت

تذكار دخول مخلصنا يسوع المسيح أورشليم منتصرا والكل يفرحون . تضرعت إلى رئيس الدير أن يرجىء طردهم من الدير حتى تنقضى جمعة الآلام ، وبعد التماس مراحمك يا سيدنا .

☩ لقد اعتبر البابا تدخلك هذا فى أمور لا تعنيك .

☩ لقد أوضحت وجهة نظرى ، وقلت لسيدنا فى هدوء أنى كنت أستحق غضبه لو أهملت الدفاع عن شرف دير البراموس البهى ، وأترك سبعة شيوخ أفاضل لهم ماض مجيد فى الدير يُطردون شر طردة ، ويخورون ، وينقطع رجاؤهم فى مراحم الله فى جمعة آلام الفادى .

☩ كيف واجهت ادعاء رئيس الدير بأنك كدت تحطم رأسه بعصاك ؟

☩ لقد راعنى هذا القول وأحزننى ، فحاشا لله أن يصدر منى هذا الأمر ، وقلت للبابا : « إننى لم أطلب من رئيس الدير سوى أن ينظر فى أمر الرهبان بعين محبته ورعايته استنادا إلى قوانين الكنيسة . » لقد خنقتنى العبرات ، فبكيت وسالت دموعى فخضبت وجهى ولحيتى .

☩ لقد أبكيتَ البابا . ولما أحس صدق ما قلته ، هدأ وارتاح جدا ، وقال لك فى محبة وعطف : « يا أبونا مينا ، أنا راض عنك ، وقد عفوت عن الرهبان السبعة ، وعرّفهم بأن يحضروا ليأخذوا البركة ، ويرجعوا الدير بسلام . »

☩ لقد التمستُ من سيدنا أن يشعرهم بعطفه ، فيأمر أحد أبنائه بإبلاغهم رضاه وصفحه . وفعلا ، أوفد قداسته الأنبا توماس مطران الغربية ومعه القمص صليب ميخائيل لمقابلة الرهبان . أما أنا ، فقد كنت طوال الطريق أصلى ، شاكرا الرب على انتهاء الموضوع وفق ما كنت أرجو وأتمنى . وعدت إلى الآباء الرهبان ومعى أشياء اشتريتها بما منحنى البابا من مال ؛ وبالطبع عرّفتهم بما جرى فى اللقاء مع سيدنا .

☩ إن كان البابا قد أرسل الأنبا توماس لتطييب خاطرهم ، فلماذا حدّث الرهبان بخشونة . . لماذا خيّب المطران آمالهم ووبخهم على خروجهم عن طاعة رئيس الدير ؟

✤ كان معذورا ، فقد تكلم عن غير علم بمجريات الأمور . لقد أراد الآباء أن يقاطعوا جلسته .

✠ ولكنك يا أبانا وقفت فى هـدوء ، وكلمته بأقوال القديسين ، وتحدثت معه عن التواضع وانسحاق الروح .

✤ وذكّرته يوم كان راهبا معى بالكلية فى حلوان . . حيث كان راهبا متواضعا فقيرا ، ونبهته إلى ما هو عليه اليوم من عظمة وملبس فاخر ، ويجب عليه أن يذكر نعمة الله وانسكاب الروح ، مذكّرا إياه فى اتضاع أن هذه المظاهر ليست مقبولة أمام الله .

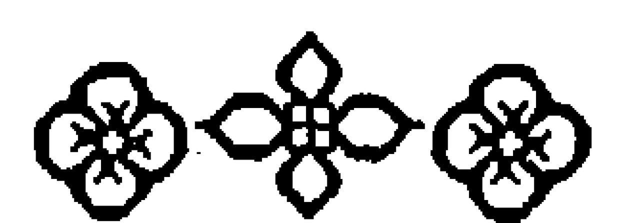
✠ لقد أثر كلامك فى الأنبا توماس تأثيرا بالغا وأبكاه كثيرا .

✤ وأسف على ما بدر منه ، واستسمح الآباء الرهبان . وتصافحوا فى محبة ، وودعوه فى النهاية بما يليق بمقامه كأمير من أمراء الكنيسة . ولم ينس هو أن يعطيهم نقودا كأمر البابا حتى يستطيعوا العودة إلى الدير .

✠ متى التقيت يا أبانا لأول مرة مع القمص داود مرقس ؟

✤ عندما طُرد الرهبان السبعة من دير البراموس ، كان بينهم القمص شنودة وهو ابن عم القمص داود ، وعندما حضروا إلى القاهرة أواهم فى بيته ، وسمح لهم بالصلاة فى كنيسته . ولما علم البابا يؤانس بذلك استدعاه وأمره بطردهم . ولكن القمص داود أجابه بأنه ليس من الممكن أن يطرد أولاده من بيت أبيه ، واحتدم النقاش ، وغضب البطريـرك ونطق بألفاظ الحرم . ولكن أبونا داود لازم الهدوء ، وقال له : « طول عمـرك إنسان محب الكهنوت ، ولم يحـدث أن أصـدرت حرمانا خاطئا . فلماذا تحرمنى ؟ إننى لا أستطيع أن أطرد أبناءك إلى الشارع . » وتردد صدى هذه الكلمات داخل قلب البابا الأبوى ، فأجاب على الفور : « محالل . . مبارك . . وخذ هذا المبلغ للرهبان . » وظل يمدهم بالمال إلى أن عادوا إلى ديرهم . ولما كنت أنا قد حضرت مع الرهبان المطرودين ونزلت معهم عند القمص داود ، فقد بدأت صداقتى معه من خلال هذا الحادث الذى رويته لك ، وظلت صداقتنا متينة طول حياتنا ، حتى أننى بعد أن أصبحت بطريركا ، اتخذته أبا لاعترافى .

✠ لقد ذهب الرهبان إلى البابا ليأذن لهم بالسفر ، فصرح لهم بعد أن منحهم البركة ، وانصرفوا . أما أنت يا أبانا ، فقد التمست أن تظل فى حضرة البابا على انفراد . . لماذا ؟



✠ لقد طلبت منه أن يأذن لى بالتوحد داخل طاحونة هواء مهجورة فى الجبل الشرقى من دير الملاك ميخائيل القبلى ، كنت قد رأيتها فى فترة نزولى لمصر ، ووجدت أنها تصلح أن تكون مغارة لأتوحد بها .

✠ وقد تخوّف البابا من إقامتك هناك ، لأن هذا الجبل كان مكمنا للصوص .

✠ ولكنه وافق على طلبى بعد أن حدثته أننى سأنال نعمة التعزية فى هذه المغارة ، لأنها بعيدة عن العمران . وذهبت إلى مقرى الجديد .

✠ كيف أمكنك الإقامة فى الطاحونة ، رغم أنها تقع فى منطقة أثرية ، ولا يصرّح إطلاقا لإقامة أحد بهذه المنطقة ؟

✠ لقد تدخلت العناية الإلهية فى استئجارى للطاحونة . فأثناء وجودى مع الرهبان فى مصر القديمة ، وبعد خدمتهم اليومية ، كنت أصعد الجبل أتجول وأمضى وقتا للتأمل والعبادة والصلاة ؛ فصادفنى خفير الآثار وأنا أتأمل الطواحين وأنتقل من واحدة إلى أخرى ، فسألنى متشككا فى أمرى . طمأنته بأننى أريد الإقامة فى هذا الجبل بإحدى الطواحين . غير أن الخفير عرّفنى أن المكان منطقة آثار ، ومحظور على أى إنسان الإقامة بها إلا إذا حصل على تصريح من مدير الآثار . وهز الرجل كتفيه وهو يؤكد لى أنه لم يسبق لإنسان أن حصل على مثل هذا التصريح . سألته عن مكان إدارة الآثار ، فعرّفنى بعنوانها .

✠ وتوجهتَ إلى دار الآثار العربية ، واقتربتَ من ساعى مكتب المدير وسألتَ عنه ، وظن أنك تطلب مساعدة ، وطلب إليك أن تجلس إلى جواره ، حتى إذا خرج المدير «يمكن ربنا يحنّن قلبه عليك ويعطيك اللى فيه القسمة » .

✠ جلستُ إلى جواره وتجاذبت الحديث معه ، فارتاح الساعى لى ، وطمأننى أنه سيساعدنى فى مقابلة المدير عند خروجه من مكتبه . ولكننى أقنعته بأن يخبره أن الراهب الذى زاره مع الباحث الأمريكى بالمغارة بوادى النطرون يرغب فى مقابلته . وذهب الساعى وأخبر الدكتور حسن فؤاد بذلك .

✠ فقام لفوره وخرج للقائك ، وعانقك ، وأخذ بيدك وأدخلك مكتبه ، وقص على الجالسين بمكتبه حكاية زيارتهم لك هو والباحث الأمريكى ، وطلب إليك أن تنزل داره ضيفا كريما .

✠ فشكرته ، وعرضت عليه مطلبى ، وهو تأجيرى الطاحونة . فنادى سكرتيره ، وأمره بتحرير عقد إيجار للطاحونة التى أحددها ، ونبّه على مفتش الآثار أن يرعانى ويقضى لى كل احتياجاتى . لقد انصرفت من عنده بعد أن شكرته مسبحا الله القوى .

✠ كم كان إيجار الطاحونة شهريا ؟

✠ تعريفة . . نصف قرش صاغ . . خمسة مليمات شهريا .

✠ ما هى شروط عقد إيجار الطاحونة ؟

✠ لم يكن عقدا بالمعنى القانونى ، ولكن كان بمثابة تعهد كتبته بيدى ، وما زلت أحتفظ بصيغته ، وهو : « أنا الموقع أدناه الراهب القس مينا البراموسى ، أقر بأننى سأتخذ إحدى طواحين الهواء الكائنة بجوار السبع بنات من جهة جبل حوش أبو على بصفة مأوى للتعبد فيها بمفردى ، وذلك بعد استئذان حضرة مدير دار الآثار العربية بالنيابة ، على أن أقوم بدفع نصف قرش صاغ شهرى بصفة رسم إيجار إسمى لهذا المكان الذى يبقى دائما ملكا للحكومة وهى حرة فى أن تسترجعه إليها بالثانى فى

أى وقت كان دون سابق إنذار . وهذا التعهد حرر من صورتين بصفة عقد عرفى بينى وبين حضرة مدير دار الآثار العربية بالنيابة » . لقد وقع العقد منى ومدير الآثار بالنيابة وشاهدين ، وكان تاريخ تحريره ٢٣ يونية ١٩٣٦ ، كما ختم بختم دار الآثار العربية .

✠ هل لك يا أبانا أن تصف لنا الطاحونة التى أقمت بها ؟

✣ كانت الطاحونة عبارة عن مبنى مستدير ارتفاعه ستة أمتار ، بدون سقف أو باب أو نوافذ . وكنت أقيم فيها وحدى ، أنام كل ليلة على الأرض ، وكل يوم أحد أذهب إلى كنيسة الملاك القبلى لأحضر القداس ثم أتناول من الأسرار المقدسة . وبعد انتهاء القداس ، كنت أنصرف بعد التوزيع مباشرة دون أن أحدث إنسان ، وأعود إلى الطاحونة .

✠ لقد لاحظ هذا القمص داود كاهن الكنيسة ومرقس بك فهمى ، وأرسلا أحد أبناء الكنيسة ليتتبعك . وعندما عاد ، أعلمهم أنك تقيم فى مبنى مهجور لا سقف له ولا أبواب .

✣ وجاء إلىّ فى اليوم التالى القمص داود ومرقس بك فهمى ويعقوب بك مكارى والقمص يوحنا شنودة ، ووجدونى جالسا على الأرض ، أسند ظهرى إلى الحائط ، وأقرأ فى كتاب . فاندهشوا ، وعاتبونى بشدة لهذه العيشة .

✠ لقد أجبتهم باتضاع بأنك ما إلا دودة لا إنسان ، وليت الرب يعينك لتتشبه بأولئك الذين تاهوا فى البرارى من أجل محبتهم للسيد المسيح .

✣ وفى اليوم التالى أحضروا عمالا ، وقاموا بعمل سقف وأبواب ونوافذ للطاحونة ، وقسموها دورين : الأول قلاية أقيم فيها ، والدور العلوى كنيسة صغيرة ؛ وخصصوا لى شماسا عجوزا اسمه مليكه ليساعدنى فى خدمة القداسات .

✠ كيف عرفت الشماس العجوز مليكه ؟

✣ كان عم مليكه مريضا بنزلة شعبية حادة مع مبادىء التهاب رئوى . وأحضرت له عائلته اثنين دكاترة لعلاجه . وأخذ الدواء واستمر عليه حوالى خمسة أيام وما فيش تقدم ، بل تدهورت صحته للأسوأ ؛ أصيب بالتهاب رئوى حاد مع هبوط شديد بالضغط والقلب ، ولم يستجب للعلاج لكبر سنه وضعف مقاومته . لقد غاب عن الوعى وأصبح غير قادر على تناول الطعام . ورأى الأطباء أنه يحتضر ، فمنعوا عنه الحقن والدواء . وعرّفوا بناته أن الحالة ميئوس منها ، وعليهم أن يرسلوا فى استدعاء أخيهم من كفر الشيخ ، ويستعدوا لتشييع الجنازة تانى يوم .. وفعلا ، بدأ الاستعداد لشراء الصندوق وإقامة الصوان .

✣ ولما كان طالب الطب عزمى مريد جرجس يقطن مع عم مليكه فى بيت واحد ، فكان بيقوم بمباشرة علاجه وعرف برأى الأطباء فى الحالة ، فأخذ بعضه وراح الكلية وعاد مبكرا للمشاركة فى تشييع الجنازة . وحينما عاد إلى البيت ، فوجىء بعم مليكه جالسا على الكنبة فى الصالة وبيقشر برتقالة ليأكلها بعد أن أكل الطعام . ولم يصدق عينيه ... إذ كيف أمكن لهذا الرجل كبير السن الذى كان فى حالة إحتضار ، ولا يستطيع حتى شرب نقطة ماء ، لدرجة أن الأطباء أوقفوا العلاج يأسا أن يشفى ويبارح الفراش ويذهب إلى الكنيسة سيرا على الأقدام .

✣ وماذا قال مليكه ؟

✣ لقد حكى إن قداستك يا أبونا مينا حضرت إليه فى الفجر ، وجلست إلى جواره على السرير ، وصليت له ورشمته بالزيت ، وأعطيته قربانة ليأكلها ، وبعدها أحس بالحياة تدب فى جسده والقوة تعوده . لقد أقمته قداستك وأجلسته على الكنبة .

✣ وقلت له لازم تحضر الكنيسة اليوم لتخدم معى .

✣ ومنذ ذلك اليوم ، كان بيحضر كل يوم مع الفجر إلى الطاحونة لعمل القداس معك يا أبانا العزيز ، رغم كبر سنه .

✣ وهكذا رتّب الله أن يكون لكنيسة الطاحونة شماسا لخدمتها . لقد عاش الشماس مليكه العجوز أكثر من خمسة عشر عاما بعد أن تم له الشفاء بنعمة الرب .

✠ لقد بدأ الناس يسمعون عن قداستك وعن هذه الكنيسة ، فتوافدوا لأخذ البركة .

✣ وعندما شعرت بأن هؤلاء الناس سيقطعون عليّ حياة الخلوة ، جعلت للطاحونة مواعيد معيّنة لا أفتحها إلا فيها .

✠ من حضر أول قداس أقمته بالطاحونة يا أبانا ؟

✣ القمص يوحنا شنودة ، وقد ساهم فى احتياجات الهيكل ، والقمص داود الذى زوّدنى بالقربان ، ومرقس بك فهمى ورياض بك مكارى والمقدس مليكه الشماس العجوز ، الذى كان يرتقى الجبل يوميا صيفا وشتاء دون إهمال أو ملل بعد ذلك فى كل القداسات -

✠ التى زاد عدد الوافدين إليها من البلاد المختلفة لما رأوا استجابة الله لصلواتك والمعجزات التى تمت ببركة دعواتك .

✣ لقد اضطررت عندما زاد عدد قاصديّ ، تحت ضغط الرجاء ، أن أنظم أوقات القداسات اليومية ، حتى يتمكن أكبر عدد ممكن من نوال البركة .

✠ لقد حدثت فى الطاحونة عجائب كثيرة يا سيدنا . فهل تأذن بأن نعرف بعضها ؟

✣ ذات مرة ، كنت أجلس بمفردى فى الطاحونة ، وإذا بثلاث لصوص يهجمون على الطاحونة ، وسرقوا بعض حاجياتى ، ولم يكتفوا بهذا ، بل فى قساوة قلوبهم ضربونى بآلة حادة على رأسى ، وتركونى بين حى وميت . فأخذت أصرخ وحدى لمار مينا حبيبى وشفيعى ، وأخذت صورة مار مينا ووضعتها فوق رأسى فوقف نزيف الدم . ثم قمت وذهبت لأقرب مستشفى ، وهى مستشفى هرمل ، سيرا على الأقدام . وعندما ذهبت ، ذهل الأطباء كيف أن ناسك مثلى استطاع أن يسير هذه المسافة الطويلة وأنا مجروح هذا الجرح ، لا شك أنها قوة الرب ، وقوة شفاعة مار مينا الذى سمع صلواتى وطلباتى .

✠ أما الثلاث لصوص يا أبانا فأخذوا عقوبتهم ، إذ أنه أثناء سيرهم ، واحد منهم صدمه القطار ، وعندما نظر إليه زميليه الآخرين ، واحد منهم أصابته صدمة عصبية ، والثالث أسرع ليعتذر لك .

✣ لقد سامحته وقبلت اعتذاره .

✠ هل تذكر يا أبانا ، عندما كان معك بعض الناس فى الطاحونة ، وكانوا يتوقون إلى أكل فول أخضر فى هذا المكان النائى الذى لا يأتى إليه أحد من البائعين . . ولكن ، بعد لحظات من طلبهم ، وجدوا شخصا ينادى ويبيع فول أخضر ، واشتريت لهم وأكلوا ؟

وهل تتذكر يا أبانا الناس الذين ذهبوا إليك فى الطاحونة ، وفى أثناء جلوسهم طلبوا أن يشربوا ماء ، فأعطيتهم كوبا لكى يشربوا من الزير ، فوجدوا الزير فارغا تماما من الماء . ولما قالوا لك هذا ، ذهبت ووضعت طرف الكوب على سطح الزير ، وإذا به يمتلىء بالماء ؟

ومن المؤكد أنك تذكر يا أبانا عندما كانت الطاحونة بغير باب ، وفوجئت بدخول ذئب عليك ، فرسمت عليه علامة الصليب المقدس ، وسألته : « ماذا تريد يا مبارك ؟ » وإذا بالذئب يقبع عند قدميك ويقضى ليلته معك . وفى الصباح ، بعد أن صليت ، عملت لنفسك فنجانا من القهوة ، فأخذ الذئب يشمشم الفنجان ، فابتسمت ابتسامتك الوادعة ، وعملت له فنجانا كبيرا ، فشربه الذئب وذهب لحال سبيله .

✠ ومن ذلك اليوم ، اعتاد الذئب أن يأتى إلىّ كل مساء ويبيت معى ، ويشرب القهوة فى الفجر ثم يخرج . ولكن ، من الذى عرّفك بهذه القصة ؟

✠ جورجى إبراهيم الذى كان يزورك ، وتأخر عندك إلى قرب الغروب ، وفيما هو خارج انزعج لرؤية الذئب يدخل الطاحونة ، فقلتَ له باسما : « هذا شريكى فى الطاحونة . »

✠ ما أحلى أيامى فى الطاحونة ، ففيها قد شاهدت فى رؤيا البابا كيرلس الخامس يأتينى بطفل جميل ، أعطاه لى ، وقال : « إن النعمة ستتهدهد بين يديك كما تهدهد أنت هذا الطفل . »

✠ ولن أنسى قولك لأحد مخلصيك ، بعد الانتهاء من الاحتفالات المهيبة بافتتاح الكاتدرائية الجديدة بالأنبا رويس ، والتى حضرها الرئيس عبد الناصر ، لقد قلت له : « هل رأيت عظمة هذه الاحتفالات وروعتها ؟ إنها لا تساوى عندى يوما من أيام الطاحونة . »

✠ وهذه حقيقة .

✠ على كل يا سيدنا ، لقد قال الشيخ حسن سلمان ، وهو من سكان منطقة الطاحونة القدامى ، أنك كنت تكرم أى شخص يطرق باب الطاحونة ، حتى المجرمين بالجبل لم تحرمهم من عطفك ، وكنت تعطيهم الطعام والشراب . كما كان الشيخ حسن يلجأ إليك لتصلى له من أجل مشاكله ، وكان الله يستجيب بسرعة مذهلة .. كما قال أيضا أنه لم يدفع للأطباء والدواء طوال إقامته بالجبل بالقرب منك .. لقد قال عنك يا أبانا : « إنتم عندكم كنز يا أقباط ، وربنا هيكرمكم علشان خاطره . »

✠ لقد كنت أقيم القداسات يوميا فى الطاحونة ، كما كنت أطلب شفاعة القديسين ، وخاصة حبيبى مار مينا شفيعى ، كما كنت دائم الصلاة والتأمل ، لذلك لم يتخل عنى الرب .

✠ لقد كان حزنك شديدا عندما تنيّح البابا يؤانس ، وداومت على عمل ترحيم يومى له لمدة أربعين يوما ، وفى تمامها ، كنت نائما عند الظهيرة . فهل لنا أن نعرف ماذا حدث ؟

✠ لقد رأيت الأنبا يؤانس آتيا إلىّ ، واستغربت لصعوده الجبل وتحمل المشاق . ولما اقترب منى ، قال لى : « انظر يا أبونا مينا ، عصا الرعاية انكسرت منى أثناء صعودى الجبل ، فأنا حزين عليها جدا . » فقلت له : « سيبها لى شوية يا سيدنا . » فأعطاها لى ، وأصلحتها وأعدتها إليه ، ففرح كثيرا ، وتأملها بإمعان ، ثم قال : « خذها يا أبونا مينا ، قد وهبتها لك . » فاستلمتها من يده فرحا . لقد استيقظت من النوم وأنا أفكر فيما تعنيه هذه الرؤيا .



✠ عندما رشحك الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف لدى الأنبا يوساب مطران جرجا القائم مقام البابا الذى وافق على توليك رياسة دير الأنبا صموئيل كى ترعاه وتهتم برهبانه وتدبر احتياجاتهم ، لأنه دير ليست له أوقاف من أطيان وعقارات ، قبلت هذه المهمة مرغما ، لماذا ؟

✢ لأننى وددت ألا أهجر قلايتى ، ولكن أدركت فى صلواتى أنها إرادة الرب ، فحزمت أمرى ، وسافرت إلى الدير فى بلدة الزورة مركز مغاغة . لقد وجدت موقع الدير حسنا ، ولكنه مبنى بالطوب النى ، والكنيسة قديمة آيلة للسقوط . لذلك طلبت معونة الله وإرشاده ، فلم يبخل علىّ .

✠ وذلك حين عدت إلى القاهرة وأفصحت للكثير من محبيك برغبتك فى إعادة بناء الكنيسة ، وطلبت معونتهم ، فأسرعوا بشحن صندلين كبيرين بالحديد والأسمنت والفحم الحجرى لحرق الطوب .

✢ لقد فرح أهالى الزورة وأهالى دير الجرنوس عندما رأوا وصول مواد البناء . فالتفوا حولى ليساعدوننى . وابتدأت بضرب الطوب وحرقه ، وإزالة الأنقاض ، وحفر الأساسات وصب الأعمدة . وأتممت سقف الكنيسة ، وأقمت مسكنا من طابقين ، وصار العمل حديث المنطقة كلها ، وبدأ الناس يعضدوننى ويقدموا لى المعونة .

✠ ولكن عدو الخير ، دفع أمين كنيسة العذراء التابعة للدير بالزورة ، ليتزعم محاولة لبث الفرقة ، فأخذ يقلل من حجم الجهد الذى بذلته لتجديد مبانى الدير هناك .

✢ بينما الحقيقة إننى تكفلت بالكثير من تكلفة البناء من مالى ومن مال أسرتى .

✠ ويا ليته وقف عند هذا الحد ، بل حاول أيضا إحداث وقيعة بينك وبين تلميذك الحبيب القس مينا الصموئيلى ، وإن كانت هذه المحاولة لم تجد لها تجاوبا من أيا منكما .

✢ ولكنها أحدثت بلبلة وانشقاقا بين الشعب ، فضلا عن أنها أظهرت عداء ذلك الإنسان لى ، لذلك كتبت رسالة إلى آباء الدير فى الزورة لمواجهة الحملة الظالمة التى يقودها أمين الدير الذى استطاع أن يستميل بعض أفراد الشعب .

♱ وقد وفقك الله فى التخلص من ذلك الذى سبب للكنيسة مضايقات كثيرة . وتدخلت العناية الإلهية واستجابت لصلواتك ، فترك خدمة الدير ورحل إلى حال سبيله فى هدوء دون صدام أو مواجهة . وقد ارتاح الأنبا أثناسيوس لحسن تصرفك عند استلامك للعُهَد التى كانت بحوذته ، حين رفضت استلام المسدس الذى كان بحوزته .

✣ ولكن هناك جماعة انساقت وراء وشايات وأراجيف ناظر الكنيسة ، وسارت فى ركابه ناكرة لجهودى .

♱ لقد اكتفيت قداستكم بأن يقوم الراهب مكارى الصموئيلى بتوضيح الأمر لشعب الزورة ، وأن يكون الحديث مجرد عتاب ، وألا يفسح له بأكثر من لحظات فى ختام العظة .

✣ ما أكثر الأتعاب التى لاقيتها ، وكانت خاتمتها إعلانى الصفح عن الجميع ، مباركا من أساء إلىّ ، فلم أستبعد من أخطأ إلىّ شخصيا ، ولم أقص أحدا عن منصبه ممن كان موكولا إليه بمسئولية ، ولم أنتقم من أحد .

♱ على كل ، لم يمض وقت طويل ، حتى صارت الكنيسة معدة للصلاة ، والمسكن جاهزا للسكنى .

✣ وحضر الأنبا أثناسيوس ، ودشن الكنيسة فى احتفال كبير حضرته جموع غفيرة من القرى المجاورة ، وأقام قداسا حبريا .

♱ منحك فيه رتبة الإيغومانس .

✣ والإيغومانس معناها قمص . . أى فى هذا اليوم ، رقيت بمشيئة الله من قس إلى قمص .

♱ عندما فكرت فى زيارة دير جبل القلمون الذى يبعد سبع ساعات عن الزورة ، أحطت الأهالى علما بعزمك على الزيارة ليبادروا إلى تقديم العطايا .

✣ وفعلا ، تجمع لدىَ الكثير من المؤن كالقمح والعسل والجبن ، التى حملتها سبعة جمال فى قافلة .

✠ ولما وصلت إلى الدير ، فرح الرهبان ودقوا أجراس الكنيسة ، وأقمت هناك أياما .

✣ قررت بعدها ترميم المبانى التى كانت آيلة للسقوط ، وإنشاء أخرى جديدة . وبقوة الصلاة ، تقدم المؤمنون الغيورين من الفيوم والمنيا بالمساعدات والمعونة لإنجاز هذه الأعمال وتجديد الكنيسة .

✠ بل لقد رتبت وصول قافلة من الزورة إلى دير جبل القلمون مرة كل خمسة عشر يوما تحمل للرهبان احتياجاتهم ، فازدهر الدير .

✣ ورجع إليه رهبانه الذين هجروه ، وتركت وكيلا لى بالزورة القمص مينا الصموئيلى الذى تربى فى كنفى زمنا طويلا . على كل ، إن كل ما تم عمله من إنجازات بهذه الأماكن المقدسة ، التى تمت بنعمة السيد المسيح وإرشاد الروح القدس ، لاقت قبولا حسنا من الرهبان -

✠ الذين كان أحدهم الراهب القديس أبونا أندراوس الصموئيلى الذى كان يناديك دائما قائلا : « يا سيدنا » .

✣ لقد سألته : « لماذا تدعونى هكذا ؟ » فقال لى : « فى يوم من الأيام ستصبح سيدنا . »

✠ وكانت هذه نبوة من أبونا أندراوس عن رسامة قداستك بطريركا . والمهم يا سيدنا ، هل لنا أن نستفسر : هل تخليت عن رئاسة الدير ، أو أرغِمتَ عليها ؟

✣ لقد أرغمتُ عليها من قِبَل القيادة الدينية ، التى كانت تعمل جادة لتحول بينى وبين أمنياتى للنهوض بالرهبنة ، وبذل رعاية حقيقية لأفراد الشعب ، فى الوقت الذى كانت فيه تلك القيادة منصرفة عن الاهتمام بالرعية ، ولها من الخدم من يعمل على إفساد الحياة الكنسية .

✠ متى عينك البابا مرشدا وأب اعتراف للراهبات بدير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة ؟

✣ كان ذلك عام ١٩٤٥ ، وحاولت كثيرا عدم القبول ، ولكن جاء الأمر رغما عنى ، وربما قد سمعت أن الأنبا يؤانس - نيّح الله نفسه - عندما كان يأمر بشىء وأحد يخالفه فكان يغضب . لقد حاول أن يتدخل الأنبا أثناسيوس والأنبا ساويرس فى إقناع

البابا بأننى مرتبط بدير الأنبا صموئيل ، فاقتنع . ولكن يبدو أن توماس عاود الحديث مع البابا فى هذا الخصوص ، وأخذنى إلى البابا الذى أصر على تعيينى ، وصمم على رأيه بأن أذهب إلى دير أبو سيفين . وهكذا أمام الأمر الواقع ، لم أتمكن من المعارضة ، وعُيِّنت مرشدا بالدير ، وكنت أذهب إليه حين أكون موجودا فى القاهرة مرة كل أسبوع .

✠ على كل يا سيدنا ، بعد أن عمَّر دير الأنبا صموئيل ، رجعت إلى القاهرة ، وعدت إلى الطاحونة مرة أخرى للتوحد . غير أن قائد قوات الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية ، والتى كانت تتمركز فى الجبل الشرقى بحجة الدفاع عن القاهرة ، والذى كان يتخذ مقره بالقرب من طاحونتك أشفق عليك وخشى أن يلحقك ضرر من جراء بقاءك وسط اشتداد وطأة الغارات الجوية ، فطلب منك النزول من الجبل والاحتماء بالمساكن .

✠ لقد نزلت على إرادته ، وأقمت فترة متنقلا بين دير الملاك القبلى وكنيسة بابلون الدرج . لقد لاقيت خلال تلك الفترة متاعب واضطهادات كثيرة ، ويكفى أن تعلم أنه فى أحد الأيام لم أجد مكانا لأبيت فيه ، فقضيت ليلتى نائما على الرصيف أمام إحدى الكنائس ؛ لذلك فكرت فى بناء مسكن صغير وتشييد كنيسة باسم حبيبى وشفيعى الشهيد العظيم مار مينا .

✠ وبدأت فى تنفيذ الفكرة ، فاشتريت قطعة أرض مساحتها حوالى ٥٠٠ مترا لتتسع للكنيسة وملحقاتها الضرورية ، وما إن تم بناء الكنيسة ، حتى قام الأنبا أثناسيوس بتدشينها ، وأقام قداسا حبريا اشترك فيه الأنبا ابرآم مطران الجيزة حينذاك والذى كنت توده منذ كنتما بالكلية اللاهوتية . لقد كانت كنيسة مار مينا بمصر القديمة ، رغم بساطتها ، مركزا روحيا واجتماعيا .

✠ وبعد فترة وجيزة ، بنيت دير الشهيد مار مينا ، وآويت فيه الغرباء من طلبة الكليات بالقاهرة ، لم أحدد لهم أجرا معينا مقابل الإقامة به ، بل يدفع كل منهم حسب إمكانياته المادية . لقد اهتممت بأحوال المغتربين حتى شعروا أنهم أسرة واحدة .

✠ حتى أنك اتجهت إلى إنشاء مركز للتدريب المهنى لتعليم الفقراء حِرَفا نافعة ، تنفعهم وتغنيهم عن السؤال ؛ وبذلك كنت أول من أدخل فى مصر التدريب المهنى .

✠ لقد رعيت مشروع خدمة القرية من خلال التربية الكنسية النشطة بالجيزة ، فأوفدت الخدام إلى القرى ، كما أنشأت كتاتيب لحفظ الإنجيل .

✠ بقدر ما كنتَ رحيما بالمغتربين ومحبا لهم ، كنت أيضا حازما معهم ، فقدتهم قيادة حكيمة ، ووضعت شروطا فيمن تقبله بالدير . . تُرَى ما هى ؟

✠ أن يكون أرثوذكسيا مشهود له من كاهن بلدته ، وأن يخضع لترتيب المعيشة بالدير ، وأن يواظب على حضور القداسات والتقرب من الأسرار المقدسة .

✠ لقد كنت يا أبانا تذهب إلى الكنيسة الجديدة ، وبدأ الناس يتوافدون عليها لأخذ بركتك وبركة القديس مار مينا شفيعك . كما أصبح دير مار مينا بمصر القديمة مصدر بركة عظيمة ، فلم ينقطع عنه الزوار صباحا ومساءا ، وجرت فيه آيات ومعجزات كثيرة . . كم من المرضى شفم . . كم من عواقر منحهم الله نسلا . . كم من متضايقين أزاح الله عنهم أتعابهم . . كم من معذبين بأرواح نجسة فكت عنهم قيود الشر .

✠ فى خلال تلك الفترة ، صدر أمر بابوى يلزم الرهبان بالرجوع إلى أديرتهم ، ولا يبقى خارجها إلا من كان له عمل يؤديه بالمدن .

✠ ولما كانت إقامتك بالقاهرة هى لضرورة ماسة مرتبطة برعاية دير الأنبا صموئيل بصفتك رئيسا له -

✠ وبالتالى ، لا يمكننى العودة إلى دير البراموس ، لذلك أرسلت إلى القمص إبراهيم لوقا وكيل البطريركية خطابا أعرّفه فيه بحقيقة موقفى ، وطلبت إليه أن يصدر لى تصريحا بالإقامة فى القاهرة ، فبادر بزيارتى وفرحت بلقائه ، وسلمنى التصريح .

✠ لقد شاءت العناية الإلهية أن تستقطب قداستكم عددا من الشباب راغبى الرهبنة الذين تزودوا بالعلوم الدينية ، ولهم رغبة فى تكريس حياتهم لله ، فترهبنوا على يديك ، وانفتح الطريق أمام كثيرين مثلهم لولوج طريق الرهبنة .

✢ لقد كانت كنيستى فى مصر القديمة معهدا مَدّ الأديرة برهبان أفاضل .

✠ هل لنا أن نعرف الظروف التى أحاطت برهبنة ابنكم الخادم الشاب النشط سعد عزيز أو بالأحرى الأنبا صموئيل ؟

✢ كان سعد خريج جامعة ويعمل فى البنك الأهلى ، كما كان نشاطه ملموسا فى خدمة القرية دينيا واجتماعيا . أعلن سعد اعتزامه على اعتزال العالم ؛ وصرح بذلك لأبونا صليب سوريال ومجموعة من الخدام . وجاءوا إلىّ ، وطرحوا الأمر أمامى .

✠ وتصور القمص صليب سوريال بأنك سوف ترفض الفكرة ، أو على الأقل سوف تطلب من سعد تأجيلها .

✢ ولكن ، بعد أن صليت ، أعلنت عن موافقتى على رهبنته ، وأن يتم ذلك فى كنيسة مار مينا بمصر القديمة .

✠ ولكن أبونا صليب ، بعمق محبته لك وخوفه عليك ، وكذلك غيره من المقربين لك ، كانوا يدركون ما سوف يجره إتمام رسامة سعد عزيز فى كنيستك من مشاكل مع رجال البطريركية .

✢ لقد ثار رجال البطريركية فعلا عقب علمهم بإتمام رسامة سعد عزيز راهبا ، وكان لها أثر سيء فى نفوسهم ، واستبد بهم الحنق الشديد ، وأخذوا يتحرشون بى محاولين إبعادى عن كنيستى بمصر القديمة .

✠ بل مع الأسف ، خادم البطريركية الذى كان يسمى ملك ، كان ذا نفوذ وسيطرة وسطوة ؛ لقد حاول أن يحتال على قداستك ليستدرجك بعيدا عن الكنيسة ، فأوفد إليك بعض رجاله فى إحدى الأمسيات ، مدّعين أنهم فى حاجة لصلاتك على مريض مقعد فى سيارة تقف على مقربة من الكنيسة ، حتى إذا ذهبت معهم للمريض ، حملوا قداستك إلى مكان مجهول . . ولكن الله كشف لك الحقيقة .

✠ لقد حاولت القيادة الدينية إلى تضييق الخناق عليّ وإخضاعى لسيطرتها ، كما حاول المقربون إليّ لومى كثيرا لإقحام نفسى - على حد زعمهم - فى عمل « أنا مش قدّه » ، لقد ظنونى وحيدا فى مواجهتهم .

✠ لذلك فكروا فى أن تتبع كنيسة مار مينا بمصر القديمة إلى دير البراموس . ولما وضحت مطامعهم جليا ، ، قررت أن تكتب كل شىء باسم دير مار مينا .

✠ لقد أعلنَتِ القيادة الدينية عدم الاعتراف برهبنة من نالوا هذا الطقس على يدى ؛ لقد كانت تنظر بعين الريبة والشك إلى نشاطاتى ، مثل : التعليم الدينى فى القرى ، وخدمة المغتربين فى القاهرة ، وعمليات التدريب المهنى لخدمة الفقراء - فقد استكثروا أن أركب نولا كهربائيا ، فحنقوا عليّ ، واضطررت إلى فكه ، وتوقفت عن تنفيذ الفكرة .

✠ ولكنك يا أبانا ، كرئيس لدير الأنبا صموئيل المعترف ، أمكنك دفع مجموعة من الرهبان الذين تتلمذوا على يديك للالتحاق بهذا الدير .

✠ لقد تكبد جميعهم المشقات والمتاعب ، ولكنهم أصبحوا رهبانا بصفة فعلية .

✠ ولكن ، لقد سحب المجمع المقدس وقتذاك اعترافه بدير الأنبا صموئيل .

✠ رغبة فى الانتقام منى ، وأملا فى تشتيت الرهبان الذين رسمتهم وكانوا يمثلون الأغلبية بالدير .

✠ إلى هذا الحد بلغ بهم الحنق والغضب ، حتى يفكروا فى تشتيت الرهبان ؟

✠ ولكن بالصلاة الحارة العميقة ، والدموع الغزيرة ، خيّب الله مسعاهم ، وحوّل مكائدهم إلى عكس ما هدفوا ، فقد استطعت أن ألحق أولادى الرهبان بدير السريان الذى كانت تربطنى برئيسه علاقة قوية ؛ وترسخت أقدامهم فى الطريق الرهبانى فى هذا الدير الذى كان من أعرق وأقوى الأديرة المصرية .

✠ لقد كانت إقامتهم فى هذا الدير سببا للفت النظر إليهم ، ولإلقاء المزيد من المسئوليات على كواهلكم .

✠ نشكر الله أنه سطع نورهم بعد ذلك قدام الناس ، وسيظل يسطع فى كل أعمالهم .

✠ على كل ، لقد أعدت يا أبانا للرهبنة وجهها المشرق بإلحاق خيرة شبابنا الجامعيين بالرهبنة .

✠ وهذا ما أثبتته الأيام . فقد أصبحوا عونا صادقا لى كقيادات نهضت بالكنيسة عندما اختارنى الله للبطريركية .

✠ ولكن يا سيدنا ، رغم كل النشاطات التى كنت تمارسها ، والخدمات الجليلة التى قدمتها ، وصلوات القداسات اليومية التى كنت تقيمها ، فقد كثر حاسدوك ، وبدأوا يكيدون لك عند البابا ! -

✠ الذى « حب يريّح نفسه » من القيل والقال ، ومن الشكوك التى كانت تساوره ، فأمرنى بالعودة إلى دير البراموس ، وأن أسلم دير الشهيد مار مينا للبطريركية .

✠ ولكن الله الذى لا يضيّع تعب المحبة ، هيأ لك أبناء بررَةً ، لهم مكانة وتقدير لدى البابا ، مثل الدكتور كمال رزق والدكتور حلمى يعقوب مكارى .

✠ لقد تمكنا من إقناع البابا بأننى ليس لى مطمع فى الحياة سوى عبادة الله -

✠ وأن الله يتمجد فى كل أفعالك .. وما حدث يوم أقبل عليك بمصر القديمة من ضيوف ولم يكن لديك طعاما يكفيهم جميعا ، فقدمت لهم ما عندك فى طبق .. وكنت تمد يدك فى الطبق وتقلّب ما به ، وتقول : « كما باركت فى الخمس خبزات والسمكتين » ، وقد أكل الجميع وشبعوا ، وكانوا عشرة أفراد ، وما فى الطبق من طعام ظل كما هو دون نقصان ! .. ألا يؤكد ذلك كم كنت بارا بشعبك ومحبا لكنيستك ؟!

✠ لقد مرت بالكنيسة يا ولدى أحداث كانت غمامة قاتمة ، شعر فيها المؤمنون بالأسى والحزن ، فطلبوا من الرب أن يدركها بمراحمه ، ورفعوا الأنظار وصرخوا إلى السماء حيث المسيح الذى سمع صراخهم وهم يطلبون الخلاص .



✠ وجاءت ساعة الخلاص ، واستقر الرأى على انتخاب راع يسوس الكنيسة التى كان يمسك بدفتها الأنبا أثناسيوس قائمقام البطريرك ، واتفق الرأى على ترشيح رهبان مشهود لهم ، فقُدّمت التزكيات -

✠ لكل من القمص دميان والقمص أنجليوس المحرّقى والقمص تيموثاوس والقمص مينا بدير الشهيدة دميانة .

✠ أما أنت يا أبانا ، فقد كنت بعيدا عن هذا المعترك . ولكن الأنبا أثناسيوس قدّم تزكية باسمك دون أن يخطرك ، وقُفِلَ باب الترشيح .

✠ ثم حدثنى تليفونيا نيافته ، وبادرنى بقوله لماذا لم أتقدم لترشيح نفسى لأصبح بطريركا ، وكان يجب ألا يفوتنى هذا الواجب .

✠ لقد أجبته قداستكم : « الله يختار الراعى الصالح . » وأنك دودة صغيرة لا يمكنها أن تتحمل هذه المهمة الخطيرة التى يعطيها الله لمن يختاره ، وليس لمن يشاءها أو يبغيها ، وأن الرهبان كثيرون وتقدموا بتزكياتهم ، وكلهم أهل لهذا المنصب الخطير .

✠ لقد فاجأنى الأنبا أثناسيوس بأنه قدّم تزكية باسمى فى الوقت المناسب ، ولما قلت له : « حفظ الله حياتك يا سيدنا ، رايح يروح فين الصعلوك بين الملوك ؟ »

✠ أجابك على الفور : « الله يرفع الفقير من المزبلة ويجلسه مع رؤساء شعبه . » فشكرته قائلا : « دامت حياتك يا سيدنا ، والرب يدبّر . »

✠ لقد شدّدت على كل محبىّ ، وحذرتهم من عمل أى دعاية لى سواء بالنشر أو بعقد الاجتماعات ، ونزل الجميع على رغبتى .

✠ وفى الانتخابات التى جرت يوم الجمعة ١٧ أبريل ١٩٥٩ ، فاز ثلاث رهبان ، هم : القمص دميان المحرّقى والقمص أنجليوس المحرّقى وأنت يا أبونا مينا البراموسى المتوحد .

✠ وفى يوم الأحد ١٩ أبريل ١٩٥٩ ، وهو اليوم المحدد لإجراء القرعة الهيكلية ، أقيم قداس حضره أحبار الكنيسة برياسة المتنيّح الأنبا أثناسيوس ، وفى مظروف مختوم

بالشمع الأحمر ، وُضِعَت ثلاث ورقات تحمل كل منها اسم أحد المرشحين الفائزين فى الانتخاب أمام جميع الشعب وبحضور السيد الدكتور رمزى ستينو وزير التموين ، ووُضِع المظروف على المذبح . وفى نهاية القداس ، فُتح المظروف أمام أحبار الكنيسة والشعب جميعه .

✠ وسحب الشماس الصغير رفيق باسيلى - وهو من طنطا - ورقة من المظروف ، خرجت تحمل اسمك « القمص مينا البراموسى المتوحد » . وهنا ، دقّت أجراس الكاتدرائية دقات الفرح ، معلنة الاختيار الإلهى ؛ كما ابتهج جميع الشعب ، ورفعوا أصواتهم بالتهليل والشكر لله . وقد أذيع نبأ الاختيار على جميع موجات الإذاعة . تُرَى ، أين كنت يا سيدنا حين أبلِغتَ بنبأ اختياركم بطريركا ؟

✠ لقد كنت أقوم بصلاة القداس فى الدير بمصر القديمة حين أبلغت بالخبر ، ورفضت أن تدق أجراس الكنيسة لحين أن ينتهى القداس . وطوال القداس ، لم تنقطع دموعى الغزيرة . . فالمسئولية جسيمة ، والمنصب خطير . . وكان لابد أن أصلى إلى الله ، الذى اختارنى ، أن يعضدنى ويقوينى .

✠ ماذا قلت لجموع الشعب والأحبار وأنت خارج من الهيكل بعد القداس لاستقبالهم ؟

✠ قلت : « المجد لك يا رب ، اخترتنى أنا الضعيف لتظهر قوتك فى ضعفى . من عندك القوة ، أعنّى لأنى أرتعب من عظمة موهبتك ، أنت أمين وعادل لا تترك محبيك ، من عندك القوة . . من عندك العون يا إلهنا وفادينا . . »

✠ ماذا تحتم طقوس رسامة البطريرك ؟

✠ تحتم حضور المختار من الله من ديره الذى ترهبن فيه . لذلك ، فقد توجهت فجر السبت ٩ مايو ١٩٥٩ إلى دير البراموس ومعى عدد من المطارنة وأعيان الشعب ، مستقلين عشرات السيارات . دخلت الدير بين دقات الأجراس ، واستقبلنى الآباء الرهبان استقبالا جميلا وهم يلبسون حللهم الكهنوتية ، ويرعون الصلبان ، ويحملون المجامر .

✠ ودخلت كنيسة السيدة العذراء الأثرية ، وسجدتَ سجدات الخشوع ، من بابها حتى حجاب الهيكل ، وقبّلت أيقونات القديسين ، وتباركت من جسد أنبا موسى الأسود وأنبا إيسيذورس قس القلالى الموضوعين أمام الهيكل ، ثم قمت بخدمة القداس . وبعد ذلك ، أخذت بركة الدير ، فلم تترك فيه مكانا إلا ودخلته .

✣ وبعد أن استرحت قليلاً ، زرت أديرة السريان والأنبا بيشوى وأبونا مقار ، وعدت قاصدا القاهرة فى سيارة وضعها تحت تصرفى أحبائى ونيس وعياد فلتس ، وركب معى القائم مقام البابوى الأنبا أثناسيوس والأنبا كيرلس مطران البلينا والأنبا بنيامين مطران المنوفية .

✠ ووصل الركب مشارف القاهرة عند الغروب ، واستقبلتك جموع كثيرة برتل من السيارات ، وسار الموكب حتى الكاتدرائية المرقسية الكبرى بالأزبكية ، التى ازدحمت بالمستقبلين ، كما كانت الألوف تملأ الشوارع المحيطة بها .

✣ ولما دخلتُ الكنيسة ، سجدت أمام الهيكل وقدمت صلاة الشكر .

✠ هل لك يا أبانا المبارك أن تشرح لنا كيف ومتى تمت الرسامة ؟

✣ فى باكر الأحد ١٠ مايو ١٩٥٩ ، نزلت من المقر البابوى ، وأمامى الشمامسة حاملين الصلبان ، والمطارنة والكهنة بملابسهم الكهنوتية ، وهتاف الشعب يعلو إلى السماء . وقفت أمام باب الكنيسة الذى أغلق ، وسلمونى المفتاح ، ففتحته وأنا أقول : « افتحوا لى أبواب البر لكى أدخل وأشكر الرب ، لأن هذا هو باب الرب وفيه دخل الأبرار . أشكرك يا رب لأنك استجبت لى وكنت لى منقذا ومخلصا . »

✠ ثم دخلتَ يا سيدنا وسجدت أمام باب الهيكل ، وتقدم كبير المطارنة الأنبا أثناسيوس ودعى إخوته الأساقفة للصلاة ، وتعاقب الآباء المطارنة تبعا لأقدميتهم الكهنوتية فى استعمالها ، وكانوا أثناء هذه الصلوات العجيبة يخلعون ثيابك قطعة قطعة ، إلى أن وصلوا إلى الكساء المصنوع من ليف النخل ، الذى تلبسه على جسدك مباشرة إمعانا منك فى التقشف ، ووضعوا البشائر الأربع على رأسك ، ثم وضع عليك اليد ومن بعده الآباء المطارنة ، ونادى : « ها باركوا يا إخوتى أبانا وراعينا المُقام من لدن الله ورضا شعبه . »

✤ ثم بدأ كل من المطارنة يلبسنى بدوره الثياب الجديدة ، التى ما إن لبستها حتى وضعوا على رأسى التاج . وتقدمت إلى المذبح وقبلته ، وتسلمت عصا الرعاية من فوقه ، ثم أجلسونى على الكرسى الرسولى ، كرسى مار مرقص الإنجيلى .

✤ يقال أن هناك مفاجأة أعدها الأنبا أثناسيوس أثناء الرسامة .

✤ تقصد حين هتف قائلا : « دعوناك كيرلس السادس » ؟ لقد توقع الجميع أننى سأطلب تسميتى مينا لحبى الشديد لشفيعى مار مينا ، ولكن الحقيقة أننى رأيت البابا كيرلس الخامس فى حلم عقب فوزى فى الانتخابات ، رأيته وهو يلبسنى ملابس الكهنوت ففرحت كثيرا ، ولذلك طلبت أن أسمى كيرلس .

✤ وعندما وقفت لتقرأ الإنجيل ، لم تشأ أن تقول : أنا هو الراعى الصالح ، بل قلت : « قال المسيح : أنا هو الراعى الصالح . » وبعدها فاضت عيناك بالدموع الغزيرة ، دموع الإحساس بعظم المسئولية وجسامتها ؛ ولكنك تحكمت فى دموعك وألقيت أولى رسائلك الرعوية بصوت هادىء رصين . . تُرَى ، ماذا كانت تحمل تلك الرسالة ؟

✤ كانت الرسالة موجهة للمطارنة والأساقفة والكهنة والشمامسة وكل شعب الكرازة المرقسية . لقد كان ملخصها شعورى بثقل المسئولية على عاتقى ، والأمانة المقدسة التى رُبطت فى عنقى ، وبالوزنات التى سُلّمت لى من رب الكنيسة ، التى علىّ أن أستثمرها . ولابد أن الله الذى دعانى سيعيننى على خدمة الكرازة الرسولية ، وأمامى وعده المبارك بأنه يسير قدامى يمهد الهضاب ويكسر مصاريع النحاس ويقصف مغاليق الحديد .

لقد قلت فى رسالتى إن البشر فى حاجة إلى خدمة الروح فى عصر سادت فيه المادية والكفر والإلحاد والاتجاهات الفكرية المنحرفة ، وما أحوج الناس إلى أن يروا المسيح فى حياتنا ويشتَمّوا رائحته الذكية فينا ، وأن على الكنيسة واجبا خطيرا ، عليها أن تدعم الإيمان فى القلوب ، وتنشر الفضيلة ، وتُدخل السلام والطمأنينة إلى كل نفس متعبة ، ليتوافر الاستقرار وتكثر السعادة .

✠ كما قلت فى رسالتك الرعوية الأولى : « ما أحوجنا إلى الحياة الطاهرة النقية الهادئة المطمئنة ، التى تكوّن المواطن الصالح المنتج ، والعضو العامل فى الكنيسة الأمين دائما والمتعاون مع الجميع . »

✠ لقد قلت أيضا : « إننى معتمد على معونة الله ، ومحبتكم جميعا التى أعتز بها ، مستلهما روح القديسين والباباوات والبطاركة السابقين خلفاء القديس مرقس الرسول ، الذين جاهدوا الجهاد الحسن ، وأكملوا السعى ، وحفظوا الإيمان ، وسلموا إلينا الوديعة المقدسة . » كما قلت إننى أتمنى أن أفتح قلبى ليبصروا المحبة العميقة التى نحو الجميع ، وهى محبة نابعة من قلب مخلصنا الذى أحبنا وافتدانا بدمه ، وأطلب من الجميع أن يداوموا على رفع الصلوات من أجل سلامة الكنيسة ومن أجلى ومن أجل الخدام والعاملين .

✠ ولا ننسى قولك بتلك الرسالة : « لما كانت الرسالة عظيمة وخطيرة ، فالأمر يتطلب تضافر القوى والجهود . وإننى واثق من أخوتنا المطارنة والأساقفة والكهنة والشمامسة وأعضاء المجلس الملى ، ومختلف الهيئات والجمعيات العاملة ، وسائر الخدام فى كرْم الرب ، سيعملون متضامنين معنا فى محبة وإخلاص وبذل وإنكار ذات ، بقيادة ونعمة رئيس الرعاة العظيم ، ولنختف نحن لكى يظهر هو بمجده . »

✠ وفى ختام الرسالة ، سألتُ الرب أن يعطينا جميعا الروح الواحد والقلب الواحد والفكر الواحد ، لنعمل برأى ومشورة الروح القدس الذى قاد الكنيسة فى تاريخها الطويل المجيد ، ولنا هدف مقدس واحد هو مجد الله وخدمة الحق ؛ وختمت الرسالة بقولى : « إن فرحى ومسرتى وإكليل افتخارى هو أنتم . فمسرتى فى نجاحكم ، وابتهاجى فى ثبات إيمانكم وقوة رجائكم وازدياد محبتكم . »

✠ لقد أوضحت فى رسالتك يا أبانا تبنّيك لأهداف خلاص الإنسان ، وتوفير وسائط الخلاص والتوبة له ؛ كما ناشدت الرعاة والرعية للتعاون ومشاركتك العمل .

✠ وانتهى الحفل الذى نقلته الإذاعة والتليفزيون على الهواء مباشرة ، وقد حضره أنور السادات نائبا عن الرئيس جمال عبد الناصر ، كما حضره ممثلو الطوائف والهيئات .

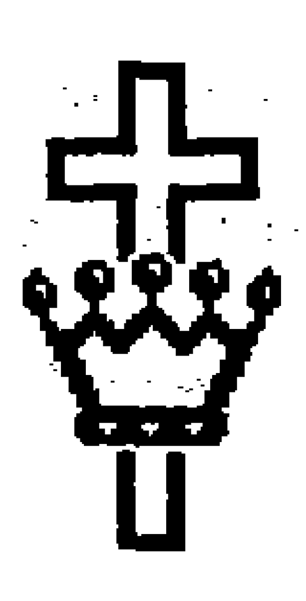
✠ ثم تزاحم الشعب لنوال البركة . لقد وقفتَ ساعات طويلة ، أشفق عليك الآباء المطارنة والأساقفة ، وطلبوا منك أن تستريح إذ كنت تتصبب عرقا . ولكنك أصررت ألا ترد أحدا كبيرا أو صغيرا ، طفلا أو شابا ، فتاة أو امرأة ، غنيا أو فقيرا ، عن مصافحتك لنوال البركة .

✝ وعاد الجميع إلى بيوتهم يمجدون الله .

✠ يقال يا سيدنا البابا المعظم أنك لم تنس فى ليلة رسامتك أن تقوم بعمل القربان كعادتك ، فقد كنت تحب جدا أن تقوم بعمله بكل إتقان .

✝ بل لم تغير البابوية منى شيئا ، فقد لزمت كل الطقوس التى كنت أقوم بها من يوم أن كنت راهبا ، فواظبت على رفع بخور عشية وباكر ، وإقامة القداسات اليومية .

✠ غبطة البابا المعظم ، أستأذنك لنفرد لهذه الحقبة الهامة المجيدة فى تاريخ الكنيسة حوارا خاصا مطولا ، يغطى الفترة من ١٩٥٩ حتى ١٩٧١ ، وهى فترة جلوسك على كرسى مار مرقص الرسول ، يا قديس القرن العشرين .



✠ غبطة البابا المعظم . . أليس من حق شعب الكرازة المرقسية أن يعرف بعض عادات وتقاليد قداسة البابا الجديد كيرلس السادس ؟

✝ ماذا يفيدهم الحديث عن المأكل والملبس والنوم ؟

✠ إن هذه المعرفة تمنحهم السعادة . . فطعامك ، رغم تقدم السن وتزايد المسئولية وإرهاق العمل كان كما كنت راهبا . . الإفطار قربانة واحدة مع مسحوق الكمون أو الملح أو السمسم مع ملعقتان صغيرتان من الفول ، والغداء خبز جاف مع قليل من الطعام

المطبوخ الذى كنت تبلل فيه الخبز الجاف ولا تأكل منه شيئا ، والعشاء كالإفطار أو الاكتفاء بقليل من الفاكهة .

✢ وفى أيـام الصيـام ، كنت أتنـاول الطعام مرة واحدة فى المساء بعد صلاة القداس الإلهى .

✢ أما ملابسك فهى بسيطة . . الداخلية خشنة مصنوعة من الدمور ومسرجة ، وفوقها تلبس حزاما من جلد والإسكيم المقدس ، ، ثم جلبابا أسود خفيفا من قماش رخيص الثمن ، وترتدى زعبوطا غير مفتوح من الأمام أى فراجية ، وتضع شالا على رأسك لتخفى به شعرك . لم تستخدم إلا المناديل المحلاوى الرخيصة ، لم تغير حذاءك على مدى خمس سنوات كاملة ، ولم تهتم بدهانه أو إصلاحه .

✢ لقد عرفت من أفصح لكم بهذه المعلومات . . إنه ابنى وحبيبى الشماس روفائيل صبحى . . وبالطبع قال لكم إننى رفضت ارتداء البرنس أو التاج حتى فى يوم افتتاح الكاتدرائية الجديدة بالعباسية ، ولم أرتد الملابس الفاخرة التى أهداها إياى جلالة الامبراطور هيلاسلاسى فى هذه المناسبة .

✢ لقد كنت تردد : « أتى المسيح إلى مصر هاربا ، ولم يكن له أن يسند رأسه . » على كل ، لقد كنت تعطى لأبنائك المناديل الفاخرة التى تُهدَى إليك ، كما كنت تمنح من ملابسك الكثير للآباء الأساقفة والكهنة ، ومنهم من لا يزال يحتفظ بها للبركة والذكرى .

✢ ماذا قال أيضا روفائيل الحبيب ؟

✢ لقد عرفْنا أن قداستك تبدأ يومك بالصلاة فى الساعة الثالثة والنصف صباحا ، ولا تفرغ من المقابلات والمشاغل إلا فى ساعة متأخرة من الليل . ومهما كنت مجهدا أو متعبا ، فإنه ما إن يحين موعد الصلاة ، حتى تنهض بنشاط وسرور لتكمل قانون عبادتك . لقد قال لنا أيضا أن غطاؤك بطانية واحدة صيفا وشتاء . وما أكثر الليالى التى نمت فيها على كرسى !

✢ إيه تانى قاله لكم أبونا روفائيل آفامينا ؟

✠ قال لنا عن الزجاجة الصغيرة التى أعطيتها له وبها ثلاث حصوات ، وطلبت منه أن يعرضها على الأستاذ الدكتور عزيز فام ، ويعرّفه أن هذه الحصوات قد آلمتك كثيرا عند نزولها . ولما رآها الدكتور ، صرخ قائلا : « إن أصغر حصوة من هذه الحصوات يحتاج إنزالها إلى عملية . » وطلب إليه أن يسرع إلى قداستك ، ويقول لك بضرورة الإكثار من شرب الماء طول النهار ، وأنك إذا أردت الصوم ، فإنه يمكنك الامتناع عن الأكل ولكن لابد من الإكثار من شرب الماء للحيلولة دون ترسيب الأملاح فى الكلى .

✠ لقد أجبته : « هل نترك الله . . هل نترك مار مينا . . هل نترك الصوم ؟ »

✠ لقد حضر الدكتور بعد يومين للاطمئنان على صحتك ، وسأله إذا كنت قداستك تكثر من شرب الماء من عدمه ، ولما أخبره أنك مستمر فى صومك كالمعتاد ، صاح غاضبا : « إن الكتاب يقول : لا تجرب الرب إلهك . »

✠ لقد سمعت صوت الدكتور عزيز ، فاستدعيته ، وأعطيته زجاجة أخرى بها حصوتان ، وقلت له : « إن الشهيد مار مينا ساعدنى فى إنزال هاتين الحصوتين . »

✠ لقد هدأت ثورة الدكتور ، وقال لك فى تعجّب : « حقا أنك رجل الله ، لقد آمنت بك . »

✠ وأخذ الحصوات واحتفظ بها .

✠ لتكون شاهدا على قوة إيمانك واتكالك على الله وعلى تمسكك بزهدك ونسكك .

✠ ده الظاهر القس روفائيل حكاياته كتير !

✠ الحقيقة يا سيدنا ، حكايات روفائيل وكتاباته عرّفتنا الكثير من الجوانب الخفية فى حياتك . . نقرأها بتلذذ وشغف . . هل تذكر يا سيدنا العمليات الجراحية التى كانت تعمل لك ؟

✠ تقصد إخراج الظفر من اللحم فى قدمى ، والتى كان يقوم بعملها الدكتور ميشيل أسعد بالإسكندرية ؟

✠ كانت العملية تجرى فى قلايتك وتستغرق أكثر من ساعة ، وتتألم خلالها قداستك ألما شديدا ، وكان يلزم بعد العملية راحة تامة لمدة ١٥ يوما . ولكنك كنت تقوم وتروح الكنيسة وترفع الصلوات وتطوف بالكنيسة مقدما بخور الشكر لله ، وتقابل أبناءك ، ويراك الناس وتحادثهم باشا مستمعا إلى أتعابهم ومشكلاتهم بابتسامتك الوديعة ؛ وما كان أحد يدرى أن بقدميك فى تلك اللحظة جرحين لم يلتئما بعد .

✠ يا ولدى ، من كان اتكاله واعتماده على الله لا يخيب . . سوف يمسك بيده ويقوده ويسنده حتى لا يخور فى الطريق . . وبالصلاة العميقة بلا ملل تحل كل المشاكل المستعصية ، ويرشدك الرب إلى الحلول الصائبة .

✠ لقد كانت حياتك يا أبانا كلها صلاة ، تبدأ يومك فى الثالثة صباحا مهما تأخرت ساعة ذهابك إلى الفراش ، تقوم لتصلى مزامير نصف الليل ، وبعدها تتجه إلى الكنيسة لتؤدى التسبحة بتمعن وتلذذ . أما صلاة القداس الإلهى ، فقد كانت بمثابة الكنز الذى تفتحه يوميا لتغترف منه التعزيات الإلهية ، ولتطرح أمام حمل الله كل متاعبك وآلامك . كنت تصليه فى وقار وخشوع وأنت مغمض العينين فى هدوء وعمق ، وبصوت منخفض ، ووجه مطرق إلى أسفل ، وتكاد صلاتك تكون بلا لحن ، ولم تكن تسمح لنفسك أن تتكىء على المذبح أو تخاطب أحدا ، ومع صلاة القداس تذرف الدموع الغزيرة .

✠ الحقيقة أننى كنت أميل إلى إقامة صلاة القداس بمفردى لأشعر بالعزاء ، كما كنت أحضر فى ليالى الأعياد القداسات المذاعة على الشعب ، وقد لا أشارك فيها لأننى كنت أقيم قداسا آخر بعد أن ينتهى قرب الفجر .

✠ ولشدة إيمانك بالقداسات ، أمرت بإقامة ثلاثة بالكاتدرائية واثنين بالكنيسة الصغيرة التى بجوارها .

✠ لقد كان لزاما علينا أن نفرح ملاك كل مذبح علشان يذكرنا أمام الله ، وملائكة المذابح دول هم الجيش بتاعى اللى أنا بأحارب بيه .

✠ لقد واظبت قداستك على صلوات رفع بخور باكر وعشية فى ملبس بسيط ، تصلى بفرح وابتهاج ، وتدور بالبخور كل أرجاء الكنيسة ، وتتوقف أمام الأيقونات جميعها طالبا شفاعة أصحابها .

✠ لقد كنت أصمم على رفع بخور باكر بمفردى .

✠ حتى أنه حين حضر أحد القساوسة الرهبان ليأخذ منك الشورية - كما جرت العادة مع الآباء الروحيين - قلت له فى وداعة لماذا لا ترفع قداستك البخور . . ألسنا نرفعه للعزة الإلهية . . هل هناك كبير أو صغير أمام الله ؟! وأننا جميعا أمامه سواء .

✠ فى ليالى كيهك ، كنت أجد عزاء كثيرا عندما أصلى تسابيح هذا الشهر المبارك بمفردى داخل قلايتى وبصوت مسموع .

✠ كما كنت تعيش أحداث أسبوع الآلام الحزينة ، تحزن وتكتئب وتبكى ، وتصلى صلوات الساعات الأولى والساعات الأخيرة بالكنيسة حيث يكون الحاضرون قليلين ، وتقرأ الفصول سواء بالقبطية أو بالعربية كأى قارىء صغير . وفى الطلبات تركع رغم تقدم سنك مصليا بدموع وانسحاق ، أما صلوات باقى الساعات ، فكنت تصليها فى قلايتك ببكاء كثير وتذلل عميق -

✠ واضعا أمام ناظرى آلام الفادى المخلص ، ذاكرا خطايا وجهلات شعبى .

✠ وما إن ينتهى قداس خميس العهد فى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر ، حتى تبدأ وأنت صائم ، فى قراءة فصول أناجيل الروح القدس باللغة القبطية بمفردك ، وأنت واقف مرتديا الشملة البيضاء ، ممسكا شمعة بيدك ، لقد كنت تصلى وأنت شاعر بالعزاء العظيم .

✠ لقد لازمت المذبح أكثر من أربعين عاما ، رافعا عليه القرابين المقدسة كل يوم ، والبخور فى الصباح والمساء : فبالصلاة وأنا راهب حاربت وانتصرت على أقوى الأعداء : الشيطان والخطية وأهواء الجسد . وعندما أصبحت بابا الإسكندرية ، جعلت صلاة القداس واجبا يوميا لا يجوز أن أتقاعس عنه أو أتباطأ فيه ، لأن فى ذبيحة القداس خلاصا لى ولشعبى بل وللعالم أجمع . . ألم تخلّص الذبيحة التى قُدّمت على الصليب كل جنسنا من عبودية الشيطان ؟!

✠ من المؤسف يا أبانا أنك تعرضت بسبب هذه القداسات اليومية لمضايقات كثيرة فور جلوسك على كرسى مار مرقص ، فقد اتهمك البعض ، سواء من المطارنة أو أعضاء المجلس ، بأنك تخفى جهلك وراء الصلاة . ومع الأيام ، تأكد لهم أنك بالصلاة والصوم نجحت نجاحا كبيرا فى قيادتك الروحية للكنيسة وحللت مشكلاتها ، وأيدتك السماء برضى الرب عنك وعن شعبك ، فحدثت بك وعن طريقك معجزات وآيات وخوارق كانت وما زالت برهانا واضحا على محبة الرب لك واستجابته لصلواتك .

✠ عندما كانت تحيط بنا المشاكل – وما أكثرها – كنت ألجأ إلى المذبح كى أتكلم مع الله فى القداس ، وسرعان ما كانت تُحَلّ .

✠ هل من أمثلة لتلك المشاكل التى حُلّت بالصلاة ؟

✠ الأرض الزراعية المقام عليها المقر البابوى الحالى بالأنبا رويس ، هذه الأرض كانوا واخدينها جماعة بوضع اليد لمدة حوالى أربعين سنة بدون عقد ، واستغلوها فى زراعة الخضار ، وأقاموا عليها ثلاث بيوت ، وأدخلوا فيها المياه ووصّلوها بالمجارى ، واعتبروها ملكا لهم ملكية كاملة . حاول المجلس الملى أن يتخلص منهم ، فرفع عليهم دعوى طرد ، واحتجوا بوضع اليد مدة طويلة أكسبتهم ملكيتها ، وأن أولادهم ولدوا فيها ، وأنهم أقاموا المبانى . ونتيجة لهذا ، حكمت المحكمة لصالحهم ضد المجلس الملى ؛ وأصبح الحكم نهائيا .

لما أنشئت هيئة الأوقاف ، كان ضمن أعضائها إدوارد ميخائيل المحامى . طلبته لأناقش معه وضع هذه الأرض ، وعرفت منه أن الأمر من الناحية القانونية يحتاج إلى رفع دعوى موضوعية ، وهذا يستغرق سنين ، والنتيجة غير مضمونة . قلت له : « إحنا عاوزين الأرض دى علشان نقيم عليها المقر البابوى » ، وكلفته يروح للأنبا صموئيل ويأخذه ويقابلوا الناس وربنا يسهّل . لقد أكد لى الأستاذ إدوارد أن القانون فى الحتة دى مش ح ينفع ولا يشفع أبدا . ومع ذلك ، سوف يذهب ليتكلم مع واضعى اليد ومعاه الأنبا صموئيل فى اليوم الذى حددته له . وفعلا ، راحوا هناك ، وأحضروا واضعى اليد وكلموا رئيسهم . طبعا رئيسهم قال إنه معاه حكم . . وتبادلوا الحديث والمناقشات قرابة الساعة ، وبعدها وجدوا الرجل يستسلم استسلاما عجيبا ، وقال لهم : « طلباتكم إيه ؟ » فأفهموه إننى عاوز إبنى المقر البابوى على هذه الأرض ، وهى أرض وقف ، ومش من مصلحته أبدا أن يستمر واضع

اليد عليها لأننى هازعل ، وقد أستصدر أمرا بأن المنطقة دى منطقة سياحية ، عارف اللى حصل إيه ؟ . . . الرجل تنازل عن الحكم ووقع بذلك ، وسلمهم الأرض بدون مجهود . . .

تُرَى ، هل كانت القضايا والمحاكم تعطينا هذه الحلول السريعة ؟ . . . أم هى الصلاة والصوم والدموع الغزيرة أمام المذبح المقدس التى حنّنت قلب الرب ليتدخل فى حل مشكلة هذه الأرض التى بُنيت عليها مع الأيام الكاتدرائية الجديدة بالأنبا رويس ؟!

✠ لقد كانت حياتك صلاة مستمرة ، اتصال لا ينقطع بينبوع البركات التى تفوق العقل ، والصلاة بالروح التى تخلص العقل من ارتباطات العالم ، وتعطيه أنات الرغبة الحقيقية فى الإنطلاق حيث الطهر .

كم من صعاب ذُلّلت بصلواتك .. كم من مشاكل حُلّت .. وكم جرت من آيات ومعجزات على يديك . لقد أحصى قداسة البابا شنودة الثالث عدد القداسات التى أقمتها فى حياتك ، فوجد أنك صليت ما يزيد عن ...١٢ قداسا !

✠ باستثناء الخمس سنين الأخيرة فى حياتى ، والتى مرضت فيها ، وأمرنى الأطباء بملازمة الفراش بعد النوبات القلبية التى أصابتنى .

✠ ومع ذلك ، طالبت بوضع سماعة فى قلايتك لتتابع بواسطتها الصلوات المقامة بالكاتدرائية ولتشترك فيها بفكرك وقلبك ودموعك .

✠ لقد طالبت الآباء الكهنة بأن يوضحوا الألفاظ ، وعدم الإسراع فى الصلوات ، وضرورة الإكثار من الصلاة باللغة القبطية .

✠ كيف كانت معاملتك يا أبانا لأبنائك ؟

✠ ما من مرة سمعت عن أسقف مريض ، وأنه موجود بالقاهرة ، إلا وزرته . كما كنت أرسل للكاهن المريض من يسأل عليه ، أو أتصل به تليفونيا للإطمئنان . لم أقسو على أى من الكهنة أمام أفراد الشعب مهما كان السبب ، بل كنت حريصا أن أقترب منه لأعرّفه الخطأ والصواب شارحا له فى صوت منخفض . إذا كثرت الشكوى من مرتل فى كنيسة بالإهمال ، كنت لا أصدر أمرا بشأنه إلا بعد التحقق من صحة الشكوى ، وكذلك الكهنة والشمامسة كنت أعتنى بهم ، وخاصة الشمامسة الصغار .

✠ كما كنت حنونا على بناتك الطالبات الجامعيات ، والموظفات ، ودائما حثثتهن على التمسك بالحشمة والطهارة والتقرب إلى الله ، حتى أنهن قد توافدن بأعداد كبيرة على الكنيسة لحضور القداسات وأخذ البركة قبل أن يتوجهن إلى الدراسة أو العمل .
كما لم تتهاون فى مطالبة الفتيات ، كبارا أو صغارا ، بارتداء الملابس المحتشمة ، وقص الشعر ، والابتعاد عن مظاهر الخلاعة والانحلال .

✠ لقد حرصت على اللقاء بأبنائى ، فزرتهم فى المحافظات ، زيارات رعوية لافتقادهم بالكنائس .

✠ لقد كنت تتباسط مع شعبك ، فلم ترفض قداستك أى طعام قدمه لك أى إنسان ، فكنت تأخذه منه داعيا له .

✠ تقصد المرأة البسيطة التى قدمت لى الثلاث بيضات أثناء صلاة رفع بخور عشية فى الكنيسة ، وقالت لى : « خد دول يا سيدنا وباركنى » ؟

✠ لقد أخذت منها البيضات الثلاث ووضعتها فى جيبك ، ثم سألتها باسما : « مسلوقين كويس يا ست والا يسيحوا فى جيبى ؟ » ولما أجابتك إنهم مسلوقين كويس ، انفرجت أساريرك ، وقلت لشماسك مبتسما : « ضمنا العشا يا ابنى » ، وصرفتها داعيا لها بالبركة .
وهل تذكر يا سيدنا زوجة الشرطى التى تعودت أن توزع على الفقراء فطيرا فى عيد الملاك ، وتعطى قداستك نصيبك : ثلاث فطائر ؟

✠ لقد كنت أقبل الفطائر بفرح ، وآكل منها أمامها ، ثم أصرفها بالبركة .

✠ وتعطى تلميذك الفطائر التى كان ينسى أمرها تماما ، ولكنك كنت تسأله عنها قائلا : « هات نأكل من الفطير علشان ناخد بركة يا ابنى » ، وتأكل منه قطعة صغيرة .

✠ لقد كنت أعمل فى حياتى بكل تعاليم الكتاب المقدس الذى يطالبنا بأن نكون حكماء ونحب أعداءنا وندع الأولاد يأتون إلينا ونشدد الأيدى المسترخية . كان لابد أن أنفذ وصايا الرب الذى كنت أصلى له دوما وبلا انقطاع كى يقوينى .

✠ كيف بدأت عهدك فور تنصيبك بطريركا ؟

✣ لقد فتحت بابى لكل إنسان ، كل فرد كان يستطيع أن يجلس معى ويكلمنى بلا مانع أو عائق ، وبذلك استطعت أن أقضى على فكرة بطانة البطريرك ، لأن كل إنسان كان يستطيع أن يعطينى المعلومات اللازمة فى أذنى مباشرة ، فأعرف حقائق الأمور بكافة تفاصيلها وبطريق مباشر .

لقد كنت أول بابا يهتم برسامة أساقفة لا مطارنة ، مؤكدا هذه الوظيفة المعروفة فى القوانين الكنسية والكتاب المقدس . كما وضعت نظاما جديدا فى الرعاية فى الكنيسة والأسقفيات المحددة التى وزعتها على مناطق محدودة ، حتى يتوافر لكل منطقة نصيبا من الرعاية ، خاصة وأنه كان يصعب على مطارنة الإيبارشيات الواسعة الإلمام بكل أطرافها .



✠ ما هى الإنجازات التى تمت فى عهدكم ؟

✣ بدأت بتجديد الكاتدرائية المرقسية القديمة ، وأقمت طابقين بالخرسانة المسلحة يسعان ألف وخمسمائة مقعد ، كما هدمت كنيسة الشهيد اسطفانوس الملحقة بالكاتدرائية ، وبنيت كنيسة بالخرسانة المسلحة مع ثلاث مذابح بثلاث قباب . وقد احتفلت بافتتاح الكاتدرائية بصلاة حضرها مندوبو الكنائس الأرثوذكسية الشرقية ، وذلك فى عيد الميلاد المجيد عام ١٩٦٦ .

فى أبريل ١٩٦٧ ، أقمت صلوات تقديس الميرون المقدس بحضور ممثلى الكنيسة الأثيوبية والمطارنة والأساقفة والكهنة والرهبان ، وذلك بالكاتدرائية المرقسية القديمة بدلا من عمل الميرون بالدير المحرّق ، وحتى يحضر الكثير من المؤمنين تلك الصلوات المباركة ؛ وعلى فكرة ، تقديس الميرون يعتبر من الأعمال الهامة التى لا تحدث إلا نادرا ، ولم يقدس الميرون إلا خمسة وعشرون مرة قبل أن أقوم بعمله .

✠ وهذا الزيت المقدس مكون من عطور وأطياب وزيت زيتون نقى ، واستمر تنقية وطحن هذه المواد التى أنزلتها قداستك بنفسك أيام الإثنين والثلاثاء والأربعاء من البصخة المقدسة . وفى يوم خميس العهد ، أقمت الصلوات عقب القداس ، ووضعت الخميرة المقدسة فى الميرون ليلة عيد القيامة المجيد ، وأعطِيَ جزء منه لوفد الكنيسة الأثيوبية .

✠ وهذا الزيت المقدس يستخدم فى سر العماد ، يدهن به الإنسان ٣٦ رشمة فى كل أجزاء الجسم . إن سر الميرون هو سر حلول الروح القدس فينا .

✠ لقد أعدت وزارة الثقافة فيلما تسجيليا لهذا الحدث العظيم . كما أوفدت الهيئات الأجنبية مندوبيها خصيصا لتسجيل عمل الميرون المقدس ، وإعداد أفلام عنه .

✠ لقد شُيِّدت فى عهدى الكاتدرائية المرقسية الجديدة بالأنبا رويس ، وهى أكبر كاتدرائية فى الشرق . احتفلنا بوضع حجر الأساس فى ٢٤ يوليو ١٩٦٥ بحضور الرئيس جمال عبد الناصر ، أقمت صلاة تبريك فى ٨ مايو ١٩٦٧ ، وهو يوافق عيد استشهاد القديس مرقس الرسول ، وبدأت شركة « سيبكو » على الفور فى إقامة الكاتدرائية . فى ٢٥ يونية ١٩٦٨ ، احتفلنا رسميا بافتتاحها ، وحضر الحفل الرئيس جمال عبد الناصر والامبراطور هيلاسلاسى عاهل أثيوبيا ، وممثلون لمختلف كنائس العالم بلغ عددهم مائة اثنان وسبعون ضيفا .

✠ وبعد إلقاء الكلمات ، توجهت قداستكم والضيوف لإزاحة اللوحة التذكارية . وفى صباح اليوم التالى ، أقمت بها قداسا على المذبح النحاسى المهدَى من كنيسة روسيا .

✠ لقد أتحت الفرصة فى هذا القداس للمطارنة والأساقفة والكهنة الموجودين لأن يشتركوا معى فى الصلوات القدسية : لقد كان قداسا إحتفاليا بعودة رفات مرقس الرسول .

✠ ولما كان هذا القداس قداسا إحتفاليا مرتبطا بعودة القديس مرقس الرسول ، لذلك أستأذنك يا أبانا أن توضح لنا كيف بدأت السعى إلى استرجاع رفاته المقدسة من البندقية ، والملابسات التى أحاطت بذلك ، خاصة وأن هذا العمل يعتبر أحد الإنجازات الهامة فى عهدكم .

✝ ذات يوم ، حضر القاصد الرسولى بالقاهرة لزيارتى . سألته فى ود : « ألم يحن الوقت لكى تعطونا جسد القديس مرقس الرسول ؟ » أجابنى مبتسما فى أدب : « نحن لا نستطيع أن نؤخر لقداستكم طلب . » فقلت له شاكرا : « وإننى سوف أرسل فى طلبه من قداسة بابا روما ، وإننى واثق من أن مساعينا ستكلل بالنجاح . »

✝ وعلى أثر هذا الحديث ، بدأت المفاوضات لإعادة الجسد الطاهر ، وأرسلت قداستكم برسالة إلى البابا بولس تطلب إرجاع جسد القديس ، وقد رحب بذلك ، وأرسل إلى بطريرك البندقية ، حيث يوجد الجسد ، يطلب موافقته .

✝ واعتذر بطريرك البندقية بحجة أن القديس شفيع البندقية ومن معالمها السياحية الهامة . غير أن صلواتنا الحارة ودموعنا ، أدت إلى موافقته على إعادة جزء من الجسد ، وأخطرنا بابا روما بنجاح مفاوضاته . واستعدت الكنيسة لاستقبال جسد مؤسس كرسى الإسكندرية ، ولم نضيع الوقت .

✝ فأرسلت وفدا مكونا من خمسة وسبعين فردا ، بينهم أساقفة وكهنة وشمامسة ورهبان وعلمانيين ، مع وفد الكنيسة الأثيوبية ، أقلتهم جميعا طائرة خاصة . واستُقبِل الوفد بحفاوة بالغة ، وتم الاحتفال رسميا يوم ٢٢ يونية ١٩٦٨ بتسليم الجسد .

✝ واستقل الوفد الطائرة عائدا مساء يوم ٢٤ يونية ١٩٦٨ ، حيث وصل مطار القاهرة فى الساعة الحادية عشرة والنصف ليلا . وكنت فى انتظار الجسد ، ومعى ما يزيد عن مائة ألف مواطن ، بخلاف أعضاء الوفود الأجنبية والهيئات الدولية والمصرية .

✝ وعندما كانت الطائرة تحلق فى سماء المطار استعدادا للهبوط ، ظهرت حمامة بيضاء حلّقت على ارتفاع منخفض ، وشوهدت فى ظلام الليل ، فهلل الحاضرون مسبحين . وعند هبوط الطائرة ، ظهرت الحمامة البيضاء مرة ثانية فوق جسم الطائرة .

✝ وما إن رست الطائرة حتى صعدت إليها يتبعنى الآباء ، وحملت الصندوق المحتوى

على الرفات الكريمة على كتفى وهم يساندوننى . وكان الصندوق مربعا ، ملفوفا بقماش من الستان الأخضر الزيتى ، ومزينا بصلبان ذهبية اللون . وكان يحتوى ، إلى جانب الرفات ، على وثيقة موقعا عليها من الكاردينال المسئول عن الآثار المقدسة المحفوظة بمتحف الفاتيكان ، بأن هذه هى بالفعل من رفات مرقس الرسول ، الذى احتفظوا لأنفسهم بجزء منها .

✠ وما إن وطئت أقدامكم أرض المطار ، حتى علت الهتافات ، ودوى التصفيق . وقد أبدى الكاردينال دوفال رئيس وفد البابا الرومانى دهشته العميقة أمام الجماهير المتهللة من مسلمين ومسيحيين ، وقال لقداستكم : « لم أتصور أن يتعلق القبط بكاروزهم وبخليفته إلى هذا الحد ! »

المهم ، عند ركوب قداستكم السيارة حاملا الجسد على ركبتيك ، رأى البعض الحمامة البيضاء داخل السيارة بجوار الجسد الطاهر .

✠ لقد أودعنا الجسد مكانا خاصا بالكاتدرائية المرقسية ، بعد أن درت به فى أنحائها مع الكهنة والشمامسة ، وسط الترتيل والتسبيح ، حاملين الصلبان والشموع والبخور .

✠ لقد شاهد السكان المحيطين بالكاتدرائية نورا عجيبا فوق قبابها ليلة وجود الجسد بها قبل نقله إلى الكاتدرائية الجديدة . . كما رأى أحد المقيمين بالمقر البابوى ، الساعة الثالثة والنصف صباحا ، رؤيا عجيبة : لقد رأى رجلا يتسم بالبساطة والنسك الشديد يمشى رافعا يده وممسكا بكتاب ، ويمشى خلفه قداستكم حاملا الصليب وعصا الرعاية ، وبعض أبنائك . ولما سأل أحد الموجودين عمن يسير أمامك ، فأجابه بصوت زلزل الجدران : « إنه حامل البشارة . » وعندما روى هذا الشخص ما حدث فى الرؤيا لقداستكم ، قلت له : « إنه مار مرقس الذى نمشى وراءه دائما . »

✠ فى الصبح الباكر يوم ٢٤ يونية ١٩٦٨ ، حملنا الرفات إلى الكاتدرائية المرقسية الجديدة فى أرض الأنبا رويس . وهناك أقمنا القداس الإلهى لأول مرة على مذبحها ؛

إنه قداس احتفالى بعودة الرفات الكريمة ، وهو قداس التشارك الروحى بينى وبين إخوتى فى الخدمة وأبنائى الكهنة .

✠ ومن نعمة الله أن هذا القداس قد أذيع على محطات الإذاعة ، فاستمتع بسماعه آلاف ممن لم يتمكنوا من الحضور إلى الكنيسة ، وتجاوبت أعماقهم مع أعماق المصلين ، وامتلأت بالنشوة الروحية التى لا يحسها إلا محبو الكنيسة وشعائرها .

✠ وبعد أن انتهت الصلوات حملت ، بمعاونة المطارنة ، الصندوق المحتوى على الرفات على الأكتاف ، ونزلنا به إلى المزار الذى أعد له . ووضعنا هذا الصندوق داخل الصندوق الجرانيتى المخصص له ، ثم حاوطناه ، وصلينا الصلوات الجنائزية التى تقام للبابوات . وبعدها ، غطينا الصندوق بغطائه الجرانيتى الفاخر . لقد أصبحت الحجرة التى يتوسطها الصندوق الجرانيتى مزارا مقدسا .

✠ وهكذا عاد مرقس الرسول كاروزنا الحبيب إلى مصر وإلى كنيسته ، عاد إلى مقر كرازته بعد غياب دام ألف ومائة ثلاث وأربعون عاما !

✠ ألا تستحق عودة الرفات المقدسة التى واكبت بناء الكاتدرائية الجديدة ، الاحتفال ثلاثة أيام متتالية على جانب عظيم من الأبهة ، خاصة وأنه قد حضرها الرئيس عبد الناصر ومعه أنور السادات والامبراطور هيلاسلاسى وأنبا باسيليوس بطريرك جاثليق أثيوبيا ومار أغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية وكاردينال دوفال ومعه الوفد الرومانى ومائة اثنان وسبعون من رؤساء الكنائس ومندوبيها ومندوب بطريرك موسكو .

✠ وما إن انتهت الاحتفالات بالقاهرة فى ٢٧ يونية ١٩٦٨ ، حتى سافر أعضاء الوفود إلى الإكسندرية ليشتركوا فى احتفالاتها بالكاروز الكبير . لقد مروا فى طريقهم على دير مار مينا وحضروا القداس الإلهى .

✠ ثم جلسوا معا إلى مائدة وليمة الأغابى ، وحالما وصلوا الإسكندرية ، تباركوا برأس الرسول الشهيد المحفوظ بالكاتدرائية . وبعد الصلوات ونوال البركة الرسولية ، تحدث إلى المجتمعين ثلاثة من الآباء الضيوف .

✠ وفى مساء اليوم ، دعا محافظ الإسكندرية الوفود إلى تناول العشاء معه فى فندق سان ستفانو ، ثم زاروا المعالم الأثرية صباح يوم ٢٨ يونية ، وعادوا إلى القاهرة فى مسائه .

✠ لقد استضافت مصر ، كنيسة وحكومة ، الوفود ابتهاجا بعودة مار مرقس إليها .

✠ هل أستأذنك يا أبانا فى الاستفسار عن كيفية وصول جسد مار مرقس الرسول إلى البندقية فى القرن التاسع ؟

✠ لقد نجح تجار البندقية فى سرقة الجسد من مصر ، وذلك أثناء تبادلهم التجارة مع المصريين ، ووضعوه تحت مذبح كاتدرائيتهم الضخمة التى تحمل اسمه ، إذ هو الشفيع الحارس لمدينتهم .

✠ هل ساهمت الحكومة المصرية فى بناء الكاتدرائية المرقسية الجديدة ؟

✠ لقد ساهمت حكومتنا فى بناء الكاتدرائية بمائة وأربعين ألفا من الجنيهات .

✠ ولما كانت الوفود التى حضرت لمشاركتنا فرحة عودة جسد القديس مرقس قد زارت دير مار مينا وهى فى طريقها إلى الإسكندرية ، وهو دير حبيبك وشفيعك ، الذى أعدت إليه الحياة بعد خرابه بعشرة قرون ، لذلك أستأذنك فى أن يكون الشهيد مار مينا وتعمير ديره ، الذى أصبح حدثا هاما من سلسلة إنجازاتك ، موضوع حديثنا .

✠ الشهيد العظيم مار مينا ، باختصار شديد ، كان ينتمى إلى عائلة من طبقة الحكام ، وهجر الجندية وتوجه إلى الصحراء ، وامتلأ بفيض النعمة ، وأعلن إيمانه بالمسيح ، واستشهد بعد أن لحقته اضطهادات كثيرة . وقد أنشئت على اسمه عدة كنائس كان أكبرها الكاتدرائية العظيمة ؛ وعمرت المنطقة التى وجدت بها الكنائس لكثرة الوافدين لنوال البركة . ثم تعرضت الكنائس والمنطقة كلها للتخريب والدمار ، وانتقل جسد القديس من مدينة إلى أخرى ، معرضا للضياع ، ولكن الله حفظه ، وكان يظهر فى كل مرة يضيع فيها .

✠ هل لنا أن نعرف سر حبك العميق للشهيد مار مينا ؟

✠ يرجع ذلك إلى طفولتى ، فقد كان عيد الشهيد مار مينا العجايبى له أثر عميق فى نفسى ، وأحَبّ الأعياد إلىّ ، حيث كنت أذهب إليه مع أسرتى سنويا فى بلدة إيبار غربية ، ونقيم بالدير أسبوعا ؛ لذلك حُفرَت حياته فى مخيلتى منذ الصغر . وعندما ترهبنت ، دعانى الأنبا يؤانس باسم مينا ، وعشت أتشبه به وأتشفع ببركاته وصلواته . وعندما أرغِمت على ترك الطاحونة ، شيدت كنيسة على اسمه بمصر القديمة ، ولم أكتف بذلك ، بل حاولت أن أحصل على تصريح لى بالسكن فى حجرة تحت الكنيسة الأثرية فى مريوط من مصلحة الآثار ، وطال انتظارى إلى أن اخترت بطريركا ، ففكرت فى تعمير منطقة الدير كلها .

✠ هل لنا أن نتتبع خطوات تعمير الدير ؟

✠ لقد أرسلت إلى هيئة تعمير الصحارى بطلب شراء خمسين فدانا بجوار المدينة الأثرية فى مريوط ، ثم أعقبته بطلب شراء خمسين أخرى . وفى عام ١٩٥٩ ، وفى أول عيد للشهيد مار مينا بعد رسامتى ، أقمت سرادقا كبيرا بالكنيسة الأثرية ، وأوفدت فى عشية العيد سكرتيرى الخاص ليقيم صلاة رفع بخور عشية العيد . وفى صباح الغد ، أقمت أنا هناك صلاة التسبحة والقداس الإلهى . وبعد ذلك ، اتجهت إلى الأرض التى اشتريتها ، وصليت فيها وباركتها ، ووضعت حجر أساس دير مار مينا .

وبدأ المقاول العمل ، فأقيمت كنيسة صغيرة وحجرتان ، كنت ومرافقىّ نقضى فيهما أياما ، بل أحيانا شهورا ، فى ظروف قاسية لا يتوافر فيها أمن أو راحة ، كل ذلك كى أطمئن على سير العمل . وبالصلاة الدائمة ، وافقت مصلحة الآثار على طلبى بنقل كمية من الأحجار لاستخدامها فى بناء الدير ، وقام الطلبة باستخدام الجرارات ، واستغرق ذلك سنتين كاملتين . وأقيم سور حول مساحة تقدر بخمسة عشر فدانا من أرض الدير ، وبنيت هناك بعض القلالى ، وكنيسة أخرى دشنت فى احتفال كبير .

✢ ولكن الحنين إلى كنيسة مار مينا الأثرية بهياكلها السبعة ، دفعك إلى أن تمتطى دابة وتتوجه بها إلى البقعة التى كانت تقام عليها قبل هدمها للتبرك من أرضها .

✢ لذلك شرعت فى بناء كنيسة أخرى تشبهها فى عظمتها إحياء لذكرى حبيبى الذى كان الناس يأتون إليه من مختلف بقاع الأرض ، أباطرة وقادة وأغنياء وفقراء ، ملتمسين بركة صلواته وشفاعاته . لقد كانت المساحة التى بنيت عليها الكنيسة تزيد على مساحة الكاتدرائية المرقسية القديمة ، وقد أعددت العدة لإتمامها بما يليق بالشهيد العظيم .

✢ لقد كنت تذهب كثيرا إلى دير مار مينا ، لأنه كان يساندك ويصنع معك المعجزات .

✢ ما إن أصل إلى دير مار مينا حتى تبدو علىّ علامات الصحة والعافية ، ولا أستخدم الأدوية . فى الدير كنت أجد العزاء ، وبالصلاة فيه كانت تُحَل كثير من المشاكل المستعصية .

✢ كما كان يهطل المطر ، ويتهلل الأعراب القاطنين بالمنطقة ويستبشرون خيرا بقدومك ، ويسألون عن موعد حضورك . حتى المؤن ، قبل أن تنفذ بالدير ، كان يحضر الزوار ومعهم الكثير منها . وعندما كنت تصلى بالمنطقة الأثرية ، كم سيارة نجت من حوادث يخرج أصحابها متعجبين . كم من عمال لدى المقاول وقعوا تحت عجلات الجرارات أثناء العمل فى بناء الكنيسة وكُسرت سيقانهم ، وبكيت لأجلهم وصليت وطلبت شفاعة مار مينا لهم ، فيشفوا ويعودوا لعملهم وكأنهم لم يمسسهم سوء . كم من مرة طلبت من آباء الدير أن يضيئوا الكلوبات لتنير لسيارة متعثرة فى الطريق ، وبعد وقت تحضر سيارة إلى الدير ، ويقول أصحابها أنهم ضلوا الطريق ، ولم يرشدهم سوى ضوء الكلوبات من بعيد ، ويتعجبون عندما يعرفون أن قداستك قد أمرت بإشعال الكلوبات .

✢ لقد كانت يد الله معى ، وهو مرشدى . . فكل الزيارات الرعوية بالمحافظات ، بدأتها بعد زيارتى مار مينا ، وكذلك زياراتى لشعب أثيوبيا . وعندما دعانى الرئيس جمال

عبد الناصر لمقابلته فى ٩ مايو ١٩٦٥ ، كنت بالدير ، فتوجهت مباشرة من الدير إلى منزل الرئيس ، وكانت مقابلة تاريخية . . وكذلك فى مقابلتى الأخرى مع عبد الناصر والتى حلت فيها مشكلة الأوقاف الخيرية ، كنت أيضا فى الدير . . عندما فكرت فى عمل الميرون المقدس ، كنت فى الدير . . عندما فكرت فى طلب إعادة جسد مرقس الرسول ، كنت فى الدير .

✠ وعندما وُجهت لقداستكم الدعوة لرياسة مؤتمر الكنائس الأرثوذكسية الشرقية بأثيوبيا ، وعندما طلب مقابلتك غبطة بطريرك فنلندا . . وعندما وصلت خطابات من عدة دول أفريقية تطلب الانضمام لكنيسة الإسكندرية ، كنت فى زيارة الدير .

✣ الدير الذى شغل بالى تعميره منذ عام ١٩٣٦ ، حيث طلبت من البابا التصريح لى بتعميره فرفض ، وقال : « هوّ احنا عمرنا المدن لما هنعمّر الصحراء ؟ » وظللت أحاول لسنين طويلة ، لم تفتر همتى . . . ورسائلى خلال الفترة من ١٩٣٦ حتى ١٩٥٩ بهذا الخصوص لشقيقى والمحبين أمثال منير شكرى رئيس جمعية مار مينا بالإسكندرية ، خير شاهد على شدة شوقنا لتعمير الدير . ولما اخترتُ بطريركا –

✠ بدأت العمل عن اقتناع ، وفى إصرار وتصميم ، على إنشاء الدير . ولم يكن بالأمر الهيّن إحضار مواد البناء والماء الذى كانوا ينقلونه من قرية بهيج .

✣ وبمعونة الله ومحبته ، بنى الدير فى قلب الصحراء ، واستعرت له بعض الرهبان من دير السريان ، ثم رسمت به رهبانا جدد ، وأخذت موافقة المجمع المقدس بهذا الدير .

✠ لقد أردت أن تجعل مار مينا يحظى باهتمام الكل .

✣ فعلا ، لقد أنشأت على اسمه مذابح كثيرة بالكنائس ، كما كنت أفرح وأتهلل فى كل مرة يطلب منى إذن لزيارة الدير .

✠ إن المحبة الكبيرة بين قداستكم وبين القديس مار مينا جعلتك تكتب فى وصيتك أن تُدفَن فى دير مار مينا .

✠ أرجو ألا تنسى أن تعمير دير مار مينا تطلَّب جهدا وصبرا وصلاة ودموعا ومحاربات وقداسات قاربت على ربع قرن ، حتى تحنن الله علينا وتراءف ومد يده .

✠ وأتم نعمته ، وأصبحت مدينة العجايبى اليوم بمريوط مزارا لطلاب البركة ، ومقصدا لطلاب الشفاء ، ودروسا لمن يتشككون فى معونة الرب وبركة قديسيه . . ولقد خاب ظن المستهزئين بهذا العمل الجليل من الأقباط ، الذين قالوا : « إن البابا كيرلس بيرمى فلوس الطايفة فى الرمل . »

✠ ليذهبوا الآن ليروا بأعينهم . . وأشكر الرب الذى قال : تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل .

✠ إن آلاف المعجزات حدثت وما زالت تحدث ، وسوف تحدث مستقبلا فى دير مار مينا . ولكننى أذكر يا سيدنا أن مأمور مرسى مطروح حضر لزيارة قداستك بالدير بمريوط ، وكان ذلك خلال السنوات الأولى لبناء الدير ، فلاحظت قداستك أنه لا يستطيع تحريك ذراعه ليسلم عليك ، فسألته : « مالك يا ابنى ؟ » فرد المأمور : « الروماتيزم . . لا نافع فيه طب ولا دوا . . الدكاترة مش قادرين يعملوا حاجة . » فرق قلبك وتحننت على الرجل ، ورشمت ذراعه بالصليب ، وقلت له : « خلاص ، انت بقيت كويس . » وهكذا فى لمح البصر ، أصبحت الذراع سليمة يحركها كما يشاء دون أثر للمرض .

✠ لقد تهلل الرجل وفرح . ولم تمض سوى أيام ، حتى حضر المأمور بعربة ، ومعه عدد من الرجال ، وقاموا بزرع تين شوكى أحضروه معهم ، حول أرض الدير ؛ وكان هذا اعترافا بفضل الله الذى وهبه الشفاء .

✠ لقد كان صوتك الخاشع يختلط بأصوات الملائكة ، وكانت أذنك تسمع ألحانهم الربانية العذبة ، فتزداد شوقا إلى الصلاة . وكانت عيناك ترى نورهم ، فيشتعل قلبك بالأكثر لتقف معهم مصليا .

✠ يا ولدى ، أيام الطاحونة ، كنا نصلى نصف الليل والتسبحة والملايكة تصلى معانا ، ومار مينا بيدور بحصانه حوالين الطاحونة .

✠ لقد شرّفت السماء عهد قداستكم بحدث تاريخى فريد ، طيّرته وكالات الأنباء يوم حدوثه فى ٢ أبريل ١٩٦٨ .

✠ تقصد ظهور العذراء أم النور مريم بكنيستها فى شارع طومان باى بالزيتون .

✠ نعم ، ويا ليتك يا سيدنا تشرح لنا ملابسات ذلك الظهور العجيب .

✠ كنيسة العذراء فى الزيتون ، يقع فى مقابلها جراج هيئة النقل العام ، وفى يوم ٢ أبريل ١٩٦٨ الساعة الثامنة والنصف مساء ، شاهد الخفير عبد العزيز على ، المكلف بحراسة الجراج ، سيدة تمشى فوق قبة الكنيسة ؛ فنادى العاملين بالجراج ، وهم : مأمون عفيفى وحسين عواد وياقوت على ، الذين حضروا ووقفوا معه ، وأخذوا يتطلعون إلى أعلا القبة ، حيث شاهدوا فتاة بملابس بيضاء ، راكعة فوق القبة أمام الصليب الذى يعلوها ، فدهشوا . ثم شافوها وقفت ، فتصوروا إنها ناوية تنتحر ، فتعالت صرخاتهم ، وهم يقولون : « حاسبى يا ست هتقعى . . » فاستدارت وواجهتهم فى هدوء . صورتها واضحة ، لابسة ثوب أبيض ، وجسمها كان يضىء كالشمس ، ماسكة فى يدها غصن زيتون . وفجأة ، ظهر سرب حمام أبيض فوق رأسها وطار إلى السماء ؛ كما ظهرت حولها هالة من نور ، وبدا ذلك الجسم النورانى أكثر وضوحا وأشد نورا . لقد تحول ذعر عمال الجراج والواقفين معهم من المارة الذين تجمعوا إلى هتاف : « ستنا مريم . . ستنا مريم » .

✠ وانتشر النبأ وتناقلته الصحف وطيّرته وكالات الأنباء إلى بلاد العالم أجمع ، وتسابقت الصحف فى إجراء أحاديث صحفية مع الخفير ورفاقه ومن تجمع من المارة ؛ وقص كل منهم على حدة ما شاهده ، وتطابقت أقوالهم ، ولم يعد هناك شك أن هذه السيدة التى ظهرت فوق القبة هى العذراء أم النور .

✠ لقد تكرر هذا الظهور عدة ليالى فى أوقات وبصور مختلفة ، وحضر الآلاف يزحفون لمشاهدة هذا الظهور شهورا طويلة ، صاحبه ظهور أجسام نورانية تشبه النجوم ، وانطلاق حمام بجسم نورانى فى سماء الكنيسة طائرا إلى أعلى حتى يتلاشى ، وانطلاق كميات هائلة من البخور من أعلى سطح الكنيسة .

✠ ولا ننسى أبدا عندما وقف الناس بالآلاف فى الشوارع المحيطة بالكنيسة فجر الثلاثاء ٣ أبريل ١٩٦٨ مترقبين ظهورها ، فإذا بحمامتين تنطلقان فوق الكنيسة ، ثم ظهر شكل نورانى كالسحاب الذى توهج ، وظهرت منه العذراء كاملة تتحرك إلى اليمين وإلى اليسار وتومىء برأسها وتبسط يديها للناس تحييهم وتباركهم . واستمرت على هذا الحال من الساعة الثالثة إلا ربعا ، وحتى الساعة الخامسة .

✠ لقد نال نعمة الشفاء مئات من ذوى الأمراض المستعصية التى فشل الطب فى علاجها . لقد فُتحت أعين العميان ، وبرأ المشلولون ، وقام المقعدون من مختلف الجنسيات والأديان ، وعم الفرح والعزاء الجميع ومجدوا الله كثيرا .

✠ لقد كان ظهور العذراء سببا فى عودة الكثيرين ممن خدعوا بمذاهب فلسفية إلحادية أو عقائد دينية غريبة إلى كنيستهم الأرثوذكسية .

✠ لقد صاحب هذا الظهور ، ظهور العذراء أم النور لأفراد كثيرين فى منازلهم ، تعزيهم وتشفى أمراضهم ، دون تفرقة بين دين أو جنسية .

✠ وكان لابد أن تقول الكنيسة كلمتها .

✠ لقد شكلت لجنة من الأنبا أثناسيوس والقمص مرقص غالى وكيل عام البطريركية والقمص جرجس متى مدير الديوان البطريركى والقمص يوحنا عبد المسيح سكرتير اللجنة البابوية لشئون الكنائس والقمص بنيامين كامل سكرتيرى ؛ وعهدت إليهم أن يتقصوا الحقائق قبل إصدار بيان رسمى عن واقعة الظهور .

✠ وبعد الدراسة والبحث الدقيق المتأنى ، عقد المؤتمر الصحفى فى ٤ مايو ١٩٦٨ ، حيث أمرتم قداستكم بإصدار بيانا بابويا عن هذا الظهور .

✠ وحضر المؤتمر عدد كبير من رجال الصحافة والإذاعة ووكالات الأنباء .

✠ لقد تقدم أحد الصحفيين مستفسرا من قداستكم فور انتهاء المؤتمر عن السبب فى عدم ذهابك لرؤية التجلى ، وعدم توقيعك على البيان البابوى ، وعدم رياستك للمؤتمر الصحفى الذى رأسه الأنبا غريغوريوس ، وقام فيه الأنبا أثناسيوس أسقف بنى سويف بتلاوة البيان باللغتين العربية والإنجليزية .

✠ أما عن تجلى العذراء أم النور ، فقلت له أننى أرى أم النور منذ حداثتى ، وقد لمست عجائبها فى بيتنا ١٩١٠ حين ظهرت عندنا بملابسها النورانية ، ووهبت الشفاء لمريض ، وظلت صورتها مصدر إشعاع بالبركات فى بيتنا .
ولما الملايين شاهدت وشهدت بظهور العذراء ، وتناقلت أنباءه صحف العالم ، شاهدين على إنه ظهور فريد فى تاريخ المسيحية ، فإننا نسجد لله مسبحين بحمده .

✠ وعن عدم ذهابك إلى كنيسة العذراء خلال فترة التجلى ؟

✠ لقد آثرت تأجيله ، حتى يتأكد كل الناس من واقعة الظهور ، مستهدفا ألا يقال أننى أوحى إلى الناس بأن يفعلوا طبق ما أفعل . ومع ذلك ، وعدت بأننى سوف أتوجّه إلى الكنيسة لأقوم فيها بالصلاة فى الوقت الذى يختاره الله .

✠ وعن عدم رياستكم للمؤتمر الصحفى ؟

✠ المؤتمر الصحفى كان بإرشادى ، وبعد بحث وترو دام أكثر من شهر وثلاث أيام . لقد أصدرت بيانا بالحقائق التى جُمعَت ، ووقعت عليه ، وأمرت بطبعه وتوزيعه ، وانتدبت ثلاثة أساقفة لينوبوا عنى فى حضور المؤتمر –

✠ الذى نشرت وقائعه كل الصحف القومية والأجنبية ، وتناقلته الإذاعات العالمية ،

وأصبح اسم كنيسة مصر على كل لسان .. وعادت البسمة والفرحة إلى قلوب الأقباط ، وتوافد الأوربيون والأمريكيون خصيصا ليحظوا برؤية والدة الإله .

✠ كما ظهرت الكتب باللغة الإنجليزية ، أحدها لراهب دومينيكانى اسمه « چيروم پالمر » من كاليفورنيا ، وكان قد جاء ليرى بعينيه ويسمع بأذنيه : فسهر عدة ليالى عند الكنيسة ، وتحادث مع الكثيرين من المتجمهرين ، ويستقصى ممن جرت لهم أعاجيب ، وأصدر كتابه « سيدتنا تعود إلى مصر .. Our Lady Returns to Egypt » .

✠ أما السيدة پيرل زكى ، وهى أمريكية متزوجة من قبطى ، فقد جاءت ، وسهرت الليالى ، وسألت الكثيرين ممن قابلتهم عما رأوا ، أو عما حدث لهم من معجزات ، ووضعت بدورها كتابا بعنوان « سيدتنا تزور مصر .. Our Lady Visits Egypt » .

✠ ولا تنسى أن الأنبا غريغوريوس قد أصدر كتابا هاما عن هذا التجلى ، ليكون شهادة للذين هم فى الخارج .

✠ هل قصد الرئيس جمال عبد الناصر موضع تجلى العذراء ؟

✠ نعم ، فقد توجه الرئيس عبد الناصر ويصحبته حسين الشافعى سكرتير المجلس الإسلامى الأعلى إلى بيت أحمد زيدان كبير تجار الفاكهة ، وكان بيته الملاصق للجراج فى مواجهة كنيسة العذراء بالزيتون ، لكى يتحققوا من الظهور المعجزى . وفى تلك الليلة ، ظهرت أم النور ظهورا صريحا واضحا ، بدأ من منتصف الليل واستمر إلى الخامسة صباحا .

✠ ولعله مما يملأ القلب بالسرور ، أن البطريركية اشترت أرض الجراج وبيت أحمد زيدان ، وأقامت فوق الأرض كاتدرائية شامخة ، وشيدت مكان البيت مبنى كبيرا يحتوى على مراكز للأنشطة الكنسية المختلفة .

✠ أرجو ألا تنسى أن هذا الظهور المقدس أصبح عيدا كنسيا ، وأدرِجَ فى السنكسار .

✠ غبطة البابا المعظم ، لقد اتسم عهدكم بعهد التواصل الكنسى .

✠ لقد أراد الله أن يبرز للعالم قوته التى كمنت فى كنيسته ، فأعاد للكنيسة مكانتها التى كانت تحتلها منذ القرون الأولى للمسيحية . ويرجع الفضل فى هذا إلى عمل الله فى شخصى الضعيف . لقد تركتُ يد الله تعمل واعتمدت على نعمته .

✠ وبفضل نعمة الله ، قمتَ بزيارة لكنائس الطوائف المسيحية فى القاهرة والإسكندرية ورشيد . كما التفَّت حولك قلوب رؤساء الكنائس فى مصر والعالم ، كما توافد على زيارتكم عدد كبير من رؤساء الكنائس الأرثوذكسية والأسقفية والكاثوليكية والطوائف البروتستانتية ، وعدد كبير من رجال الإكليروس ، فلا يمر أسبوع دون أن تستقبل زائرا أو أكثر من ضيوف مصر .

✠ لقد تدعم مركز الكنيسة فى مجلس الكنائس العالمى ، وأمكن أن تشترك فى عضوية لجانه الهامة ، وقد مكنتها عضويتها فى المجلس من الدفاع عن قضايا الوطن ، والرد على موجات الدعاية المغرضة . كما حرصت الكنيسة على أن تحتل مكانتها فى معظم المجالس الدينية والكنسية العالمية .

✠ كمجلس السلام المسيحى ، والاتحاد الدولى لجمعيات الكتاب المقدس ، والاتحاد الدولى للطلبة المسيحيين ، والهيئة الدولية للإذاعات المسيحية ، والمجلس الأعلى للتربية المسيحية ، ومجلس كنائس كل أفريقيا ، ورابطة كليات اللاهوت بالشرق الأوسط ، وغيرها الكثير .

✠ لقد أوفدت الكنيسة مندوبين عنها لحضور مؤتمر الكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية فى رودس عام ١٩٦١ ، والعيد الألفى لأديرة جبل آثوس الشهيرة عام ١٩٦٣ ، ومجمع الفاتيكان الثانى فى دوراته الأربع أعوام ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ١٩٦٥ .

✠ ولا ننسى أبدا رفض الامبراطور هيلاسلاسى أن يبدأ مؤتمر أديس أبابا ، الذى عقد فى أثيوبيا فى يناير ١٩٦٥ ، أعماله فى غيبة قداستكم ، وتأجل انعقاده حتى ذهبت ورأست أعماله .

✠ لقد كان هذا المؤتمر أول مجمع مسكونى للكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية فى العصور الحديثة . لقد حضره رؤساء كنائس أنطاكية وسائر الشرق وأرمينيا بالإتحاد السوفييتى ولبنان ومطران هرر ونائب جاثليق أثيوبيا والأنبا باسيليوس جاثليق الكنيسة السريانية الأرثوذكسية بالهند .

✠ وناقش المجتمعون أمورا هامة تتعلق بالخدمة والكرازة فى العالم المعاصر ، وعلاقة الكنائس المجتمعة بالكنائس الأخرى .

✠ ولم يغب عنا أنه رغم اتفاق هذه الكنائس جميعا فى العقيدة ، إلا أنها كانت متباعدة ، والعلاقات بينها متقطعة الأوصال . ومن هنا يمكن أن ندرك مدى الأهمية التاريخية للمؤتمر .

✠ لقد نبهت قداستكم الحاضرين بأنه إذا كانت الكرازة لازمة بين المتطلعين إلى المسيحية ، فهى ألزم بين المسيحيين أنفسهم لكى لا يكونوا مسيحيين بالاسم ، بل متمسكين بمسيحيتهم عن إيمان كامل . وقد صفق المؤتمر لهذه العبارة تصفيقا حادا وطويلا ، لأنها صادرة عن مفهوم صحيح وعميق لمعنى الكرازة بالمسيح ، التى لا يمكن أن تنجح إلا إذا صدرت من مؤمن حقيقى ممتلىء من روح الله .

✠ لقد قابل العالم بالسرور أنباء انعقاد المؤتمر ، وتقرر أن يكون له سكرتارية دائمة تنعقد مرة كل عام فى إحدى الكنائس الأعضاء . وشاء الرب ، عند انعقادها لأول مرة عام ١٩٦٦ بالقاهرة ، أن اشترك المجتمعون فى قداس عيد الميلاد المجيد المذاع من الكاتدرائية المرقسية بالقاهرة .

✠ لقد كان تعبيرا عن الوحدة القائمة بين هذه الكنائس . . لقد كان قداسا تاريخيا جمع شتات أبناء العقيدة الواحدة منذ قرون طويلة . تُرَى بعد أن تحدثنا عن التواصل الكنسى ، ألا يحق لنا أن نعرف ماذا عملت الكنيسة لأبنائها فى الخارج لترعاهم وتحفظهم ؟

✠ منذ عام ١٩٦١ ، بدأ عدد من الأقباط ينزحون إلى مختلف بلاد الأرض . . فلما تكاثر عددهم بالكويت ، حصلنا على إذن من أمير الكويت ، وأقمنا كنيسة باسم مار مرقس الرسول ، وأرسلت لهم أسقفا ليؤدى الشعائر . وبعد أن بنى بيتا للكاهن والشماس والقرابنى ، أرسلت لهم القمص أنجليوس المحرّقى ، ثم القمص يوحنا جرجس ، فالقس غبريال كامل ، ثم القمص غبريال كامل ، ثم القمص تيموثيئوس المقارى .

✠ ومما يُفرِح يا سيدنا أن جميع المسيحيين القاصدين إلى الكويت من مختلف دول الشرق الأوسط يصلّون فى كنيستنا .

✠ ولما بدأ تزايد الهجرة لأمريكا ، فقد رسمت القس مرقس الياس راعيا للكنيسة فى تورنتو عام ١٩٦٤ ، ورسمت القس رافئيل يونان نخلة راعيا للأقباط المقيمين بمونتريال بكندا عام ١٩٦٧ ، ورسمت القمص مينا لبيب نعمة الله راعيا للأقباط المقيمين بمدينة سدنى بأستراليا عام ١٩٦٩ .

✠ كما أنشأتَ ثلاث كنائس عام ١٩٧٠ فى ملبورن ونيو جرسى وكاليفورنيا .

✠ لقد كانت هذه الكنائس السبعة هى البداية فى خدمة المغتربين ؛ وأثق ببركة الرب وصلوات قديسيه وغيرتهم ، سوف تتضاعف فى الخارج لتضم الأفراخ تحت جناحيها .

✠ يعوزنا الوقت يا سيدنا لنعدد ما حرصت عليه من الإصلاحات ، منها : حرصك على هيبة الكهنوت واحترامك له ، وإنشاء اللجنة البابوية فى ٣١ ديسمبر ١٩٧٠ لرعاية الكهنة وأسرهم ، ووضعت هذه اللائحة التى تنظم هذه الرعاية وتكفل للكاهن حقوقه . يعوزنا الوقت لنؤكد أنك كنت الراعى لأول كنيسة قامت على أرض أفريقيا ، ولن ننسى أنك أرسلت عام ١٩٦٠ القمص مكاريوس السريانى ليقوم بجولة فى دول شرق أفريقيا ثم فى جنوبها ليتفقد الكنيسة هناك . كما أوفدت القمص باخوم المحرّقى لحضور المؤتمر الأول لمجلس كنائس أفريقيا ، والقمص أنطونيوس السريانى إلى كينيا لحضور حلقة الدراسات لشئون الأسرة الأفريقية . . لقد بدأ اهتمامك بأفريقيا بتشجيعك

قسم دراساتها بالمعهد العالي لإعداد الخدام اللاهوتيين و المدنيين للعمل فى مختلف ربوع أفريقيا . لقد أرسلت المطرانية القبطية بالخرطوم ستة عشر طالبا ، نصفهم سودانيين والنصف الآخر من جبال النوبة ، للدراسة فى القاهرة ، ورحبت بهم ، وأمرت بإعداد المقر البابوى الملحق بكنيسة مار جرجس بطرة مقرا لسكنهم وتعليمهم ، وعهدت إلى القس أنطونيوس السريانى برعايتهم والإشراف عليهم وعلى دراستهم وتدريباتهم الروحية . وبعد ثلاث سنوات من دراستهم ، رسمتهم شمامسة ، وأفسحت لهم المجال للخدمة فى الهيكل . وحين عادوا إلى بلادهم ، رسمهم أنبا دانيال مطران الخرطوم للخدمة الدينية فى مختلف المناطق .

يعوزنا الوقت لشرح عنايتك بالإكليريكية التى كنت مقتنعا بأنها ليست مدرسة ولا معهدا ، إنما هى مركز إشعاع ونبع عذب يستقى منه الآباء ، وبدورهم يسقون أولادهم التعاليم الأرثوذكسية .. ولا ينسى شعبك مساء يوم ذهبت فيه إلى أرض الأنبا رويس مستصحبا كهنة وشمامسة ومهندس وجمهور من الشعب ، حيث خطط المهندس فى الركن الشرقى البحرى من الأرض مبنى للكلية الإكليريكية ، وصليت قداستكم بالموقع الصلوات المناسبة وصلاة التسبحة وصلاة الغروب ، وبعدها صليت على إبريق ملىء بالماء رشيته على كل أركان التخطيط ، كان ذلك صيف عام ١٩٦٢ . وشيدت للكلية الإكليريكية صرحا جديدا تزهو به الأجيال وتفخر ، وستظل كلمتك يوم افتتاحها مدوية فى الآذان : « فسيروا يا أولادى فى طريق العلم المقترن بالعمق الدينى لتسطع بكم الكنيسة ويتمجد الله فيكم » . لقد حرصت قداستكم على اختيار خريجيها للكهنوت .

ولم تكن عنايتك بالمعهد العالى للدراسات القبطية بأقل من عنايتك بالكلية الإكليريكية ، وحلم إنشاء دار للطبع والنشر تابعة للبابوية ، وإن كنت قد أقمت المكان الخاص بالمطبعة التى أهدتها إليك كنيسة فينا ، إلا أن البابا شنودة قد حقق الحلم بتشغيلها ، كما أكمل الكثير من الأعمال بعد نياحتك . وأستأذن أن أذكر لقداستكم بعض ما قاله فى الذكرى الأولى لنياحتكم بهذا الخصوص : « ... مهما تحدثنا ، فهناك نقطة لا تنسى ، وهى الأعمال التى قام بها البابا كيرلس بعد نياحته ،

لقد أعد كل شىء لمشروعات عديدة ، وربما تتاح لى فرصة ، بصلواته ، أن أقوم بهذه المشروعات ، ولكنى أشعر بأنه هو الذى قام بها . » وأعطى غبطته مثلا بقوله :
« يذكرنى هذا بقصة داود النبى الذى كان يعرف أن ابنه سليمان غصن صغير ، فأعد كل شىء لبناء الهيكل . وأكمل سليمان بناء الهيكل وسُمّى هيكل سليمان ، والفضل لداود . هكذا فعل البابا كيرلس الذى أعد كل شىء لمشروعات عديدة ، تتم بمشيئة الله بعد نياحته بمجهوده الخاص وبإعداده ؛ ويرجع الفضل إليه وحده أولا وأخيرا . . ولعل من بينها دير مار مينا الذى أحبه وملك عليه عواطفه . »

✢ شكرا له محبته ، وقواه الله لمواصلة المسيرة بالحكمة .

✢ يعوزنا الوقت يا أبانا لشرح أسباب الوهن وفتور العلاقات بين الكنيسة فى مصر والكنيسة فى أثيوبيا قبل توليكم كرسى البابوية والذى هدد بالإنفصام ، وما اضطلعت به قداستكم فى بداية حبريتكم من حكمة ومرونة فى مفاوضات انتهت إلى إتفاقية أقرها المجمع المقدس ، وتم توقيعها فى ٢٥ يونية ١٩٥٩ ، وهذه الاتفاقية التى تعتبر من الأعمال الخالدة التى أنجزتها غبطتكم بمعونة السماء ، ووثيقة هامة فى تاريخ العلاقة بين الكنيستين فحفظتها قوية ومتينة .

✢ إن امبراطور الحبشة هيلاسلاسى زار مصر سبع مرات خلال فترة تنصيبى بطريركا ؛ وفى كل مرة كان يجد فى استقباله وفدا من الآباء المطارنة والأساقفة .لقد اتسمت زياراته بالود العميق ، وقد تبرع عام ١٩٦٦ للكنيسة بمبلغ أربعين ألف دولار .

✢ وفى عام ١٩٦٧ عقب النكسة ، عندما عرفت قداستكم أن موقف أثيوبيا يشوبه عدم الوضوح ، أرسلت خطابا للامبراطور تطالبه فيه بدراسة عميقة لقضية العدوان على الأراضى العربية ، وألا ينسى اللاجئين من شعب فلسطين .

✢ لقد كان رد جلالته فوريا ، أرسل لى برقية قال فيها أنه أمر مندوب بلاده فى الأمم المتحدة بالوقوف بجانب العرب فى قضيتهم العادلة . وقد أرسلت وزارة الخارجية فى مصر لى خطاب شكر وتقدير .

✠ ماذا عن زياراتك الرعوية لأثيوبيا ؟

✠ لقد زرت أثيوبيا مرتين : الأولى فى ٢٦ أكتوبر ١٩٦٠ ، واستُقبِلتُ بالمطار استقبالا رسميا كرؤساء الدول ، وكان على رأس مستقبليّ جلالة الامبراطور هيلاسلاسى وأعضاء الأسرة الامبراطورية ، والبطريرك الجاثليق ، ورئيس الوزراء والوزراء ، والأساقفة ، وحكام المقاطعات ، وأطلقت المدافع ٢١ طلقة .

✠ ثم توجهت قداستكم إلى كاتدرائية الثالوث الأقدس ، حيث أقمت صلاة شكر . وفى المساء ، حضرت حفل الاستقبال الكبير الذى أقيم بالقصر الامبراطورى . ثم قمت برفع بخور عشية بكنيسة العذراء الخاصة بالدار البطريركية .

✠ لقد استمرت الرحلة تسعة أيام ، دشنت فيها كنيسة رئيس الشمامسة إسطفانوس وطفت حولها بصحبة الامبراطور ثلاث مرات فى موكب دينى جميل ، كما زرت كنيسة السيدة العذراء ، ومخلص العالم ، والعالم الجديد ، وكلية الثالوث الأقدس بأديس أبابا ، ودير ليبانوس ، وكاتدرائية العذراء مريم -

✠ كما قدمت قداسا فى كنيسة مار مرقس الملحقة بالقصر الامبراطورى حضره الامبراطور وأفراد أسرته وتناولوا من الأسرار المقدسة . وعلى متن طائرة من سلاح الطيران الأثيوبى ، سافرت قداستكم إلى منطقة « لا ليبلا » -

✠ وهى منطقة ذات شهرة عالمية ، لكنائسها الاثنى عشر المنحوتة فى الجبل من القرن الثانى عشر ، وقد استغرقت الرحلة ست ساعات ، ثلاث منها بالطائرة ومثلها بالسيارات فى طرق جبلية . . . وصليت القداس فى كنيسة مخلص العالم ، وزرت مستشفى القديس بولس وتفقدت مرضاه جميعا ، ثم زرت مدرسة تدريب الشرطة ، ومدرسة القديس بولس اللاهوتية ، وأقمت صلاة برفع بخور عشية فى كنيسة رئيس الملائكة جبرائيل .

✠ ولما كان اليوم الثامن من الرحلة قد وافق الاحتفال بالعيد الثلاثين لتتويج جلالة

الامبراطور ، فقد توجهت قداستكم إلى كنيسة القديس جوارجيوس لابسا الملابس الكهنوتية الأثيوبية ، وخرجت العاصمة كلها لتحيتك واستقبالك . وعندما وصل الامبراطور إلى الكنيسة ، استقبلته قداستكم عند الباب ، وعانقته ، وتأبطت ذراعه إلى داخل الكنيسة .

✣ وبعد ذلك توجهت إلى البرلمان الأثيوبى ، وفى المقصورة الامبراطورية الكبرى ، تابعت مراسيم افتتاح الدورة البرلمانية . ثم عدت إلى كنيسة القديس جوارجيوس ، وأقمت القداس الإلهى .

✣ وفى مساء ذات اليوم ، أقام الامبراطور حفلا لتوديع قداستك ، راجيا منك تكرار هذه الزيارة الرعوية . كما حضرت الحفل الذى أقامه الأنبا باسيليوس بالبطريركية ، حيث قمتم برفع بخور عشية فى كنيسة الملاك روفائيل .

✣ لقد استقليت ومرافقىّ طائرة خاصة بعد أن صليت القداس فى كاتدرائية الثالوث الأقدس فى أديس أبابا ، وتوجهت بها إلى منطقة جوندار .

✣ وعند بحيرة تانا ، منبع النيل الأزرق ، هبطت الطائرة إلى ارتفاع منخفض ، وباركت البحيرة قداستكم . ولما وصلت الطائرة مطار جوندار ، كان فى استقبالكم حاكم المقاطعة والكهنة والشعب .

✣ وبعد أن قضينا بعض الوقت ، سافرت إلى إقليم أريتريا ، وتفقدت أبنائى هناك ، وعدت إلى القاهرة مساء الإثنين ٧ نوفمبر ١٩٦٠ .

✣ وبذلك انتهت الرحلة الرعوية الأولى لأثيوبيا ، التى لم يزرها أحد منذ عام ١٩٣٠ ، كما كنت قداستكم أول باباوات الإسكندرية الذى يزور أقاليم أثيوبية خارج أديس أبابا .

✣ لقد حرصت فى تلك الزيارة أن أزور كافة الكنائس وإقامة الصلاة فيها .. كنائس العاصمة وكنائس الأقاليم .

✠ أين كنت تنزل قداستكم خلال زيارتكم لأثيوبيا ؟

✠ لقد نزلت فى قصر مينليك ، قصر الامبراطور ، الذى يعيش فى حديقته أسدان داخل كشك ، وبعد أن يأكلا ويشبعا ، يسمح لهما بالخروج من الكشك ، وهما يثيران خوف الجميع ، ولا أحد يقترب منهما إلا المكلفين برعايتهما .

✠ ولكنك عندما نزلت إلى الحديقة ، اقتربت من أحدهما لفترة من الوقت ، حتى أن المصور الخاص بقداستك كان لديه متسع من الوقت لإعداد آلة التصوير والتقاط صور لقداستك وأنت فى هذا الوضع العجيب ، لقد كنت هادئا تماما والأسد رابض على الأرض فى سكينة . ولما ترامى الخبر إلى أسماع الامبراطور هيلاسلاسى ، قال : « حقا إن البابا رجل روحانى . »

✠ أعتقد أن قرياقص بسادة ، رجل الأعمال المعروف فى أثيوبيا الذى كان يرافقنى فى رحلتى ، هو الذى نقل تلك القصة .

✠ متى كانت زيارتك الثانية لأثيوبيا ؟

✠ لقد كانت عام ١٩٦٥ ، كى أرأس المؤتمر التاريخى لرؤساء الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية .

✠ الذى رفض الامبراطور أن يعقد فى غيبتكم شخصيا ، رغم أن قداستك قد أنبت عنك بعض أصحاب النيافة المطارنة .

✠ وتمت الاتصالات من أثيوبيا بوزارة الخارجية بالقاهرة ؛ وحضرت طائرة أثيوبية عليها مبعوث خاص يحمل لى رسالة شخصية من الامبراطور يكرر فيها الرجاء بالحضور .

✠ لقد كنت فى دير مار مينا بمريوط ، وسافرت إلى القاهرة ، واستقليت الطائرة الأثيوبية الخاصة بعد منتصف الليل إلى أديس أبابا .

✠ وعلى سلم الطائرة تعانقت مع الامبراطور ، وأطلقت المدافع ٢١ طلقة .

✠ كما استُقبِلتَ بالزغاريد المصرية ، واغرورقت عيون المستقبلين بدموع الفرح ، بل بلغ التأثر ببعضهم أن أجهشوا بالبكاء بصوت مسموع .

✠ وبنعمة الرب وبركته ، أثناء وجودى هناك ، قمت بافتتاح كاتدرائية القديسة العذراء مريم بعد ترميمها ، كما رأست الاحتفال بعيد الغطاس وعيد رئيس الملائكة الجليل ميخائيل .

✠ أما عن أعمال المؤتمر ذاته ، فقد كانت ناجحة بكل المقاييس كما أوضحنا فى سياق حوارنا عن اتسام عهدكم المجيد بالتواصل الكنسى .

✠ لقد كنت ، قبل سفرى فى أى زيارة رعوية ، أقيم القداسات ، وأواصل الصلاة ، ليرفع الرب عنا غضبه ويرحمنا ويعضد كنيسته ؛ لذلك كان الرب دائما راعىّ .

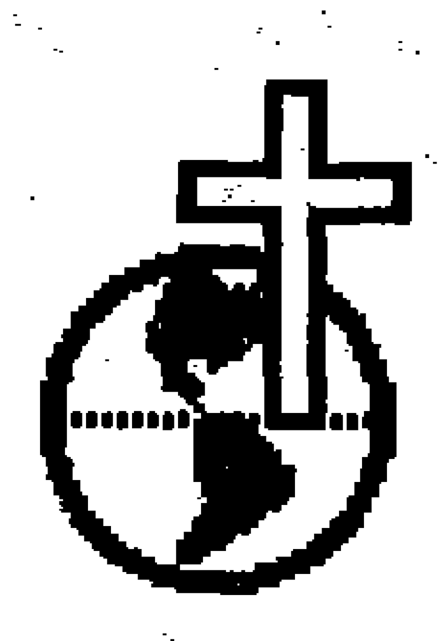
✠ ما هو موقف الكنيسة القبطية فى عهدكم من أزمة الشرق الأوسط ؟

✠ لقد ركزت الكنيسة على دورها فى أزمة الشرق الأوسط . فمنذ بداية الاعتداءات الصهيونية المتكررة ، أصدرت نداءات بلا هوادة ضد الدعاية المضللة . وعقب الانتهاء من معارك يونية ١٩٦٧ ، أوفدت الأنبا صموئيل كمندوب خاص عنى إلى الدول الغربية ، ليشرح الموقف على حقيقته ، وليهيب بالكنائس الغربية أن تؤدى واجبها المسيحى الحق فى إقرار العدالة والسلام ، فزار مجلس الكنائس العالمى فى جنيف ، ومنه تنقّل بين العواصم الأوربية ، ثم الولايات المتحدة . وبنعمة الله ، نجح فى تصحيح المفاهيم العامة التى شوهتها الدعاية الصهيونية . ونتج عن هذا النجاح أن سارعت الكنائس بتقديم معونتها لعائلات منكوبى الحرب واللاجئين النازحين . ورأيت تدعيم هذه الجهود العملية بمساندتها روحيا ، فأقمت القداس الإلهى بالكاتدرائية المرقسية بالأزبكية فى صباح ٢٥ نوفمبر ١٩٦٧ عن أرواح شهداء الجليل بالأردن ، وفى ذات الوقت ، طلبت من أبنائى أن يفتحوا الجمعيات والقاعات لإيواء اللاجئين

والنازحين . كما انتدبت وفدا أرسلته إلى الأنبا صموئيل ليقابل البابا الرومانى ، وقد صحبهم إلى هذه المقابلة وفد من الكنائس الكاثوليكية بمصر لشرح وجهة نظرهم عن وضع مدينة القدس .

✠ ما هى مهمة الهيئة البابوية لاحتياجات الكنائس التى كونت فى عهدكم ؟

✠ تختص هذه الهيئة بتوفير كل ما تحتاجه الكنائس من البخور والزيت باستيرادها من مصادرها مباشرة ثم توزيعها على الكنائس كل قدر احتياجاتها . كما وجه أعضاء اللجنة اهتمامهم إلى إنتاج الأقمشة الضرورية للملابس الكهنوتية ، وكانت هذه هى البداية .



✠ متى التقيت بالرئيس جمال عبد الناصر ؟

✠ كان ذلك بعد الرسامة فى عام ١٩٥٩ ، فقد قمت بزيارته ، وتبادلنا الأحاديث الودية ، وأكدت له أننى بعون الله سأعمل على تعليم أبنائى معرفة الله وحب الوطن ومعنى الأخوة ، ليشب أبناء الوطن وحدة قوية لديها الإيمان بالله والحب للوطن . وأثنى الرئيس على وطنيتى وحبى لبلادى ، ودعى كل منا للآخر بالتوفيق .

✠ موقف أغضبك من جمال عبد الناصر ؟

✠ طلبت مقابلة مع الرئيس أكثر من عشر مرات ، كى أعرض عليه بعض المضايقات والمشكلات التى تتعرض لها الكنيسة ، ومع الأسف لم أجد استنجابة ؛ حتى جاء لزيارتى صديق هو عضو فى مجلس الشعب ، وكان يحبنى ، ودائم الزيارة لى منذ أن كان ابنه مريضا وصليت له وربنا شفاه . وجدنى هذا الرجل متضايقا وزعلانا ، فسألنى السبب .

✠ وعرف من قداستكم عدم استجابة الرئيس لطلباتك لمقابلته . ولما كانت العلاقة بينه وبين عبد الناصر علاقة وطيدة ، فقد وعدك بأن يقابل الرئيس ، ويطلب منه تحديد موعد لك لمقابلته .

✠ وفعلا ، أمكنه الحصول على الموعد . وحضر واصطحبنى فى سيارته إلى القصر الجمهورى . وقابلنى عبد الناصر بفتور شديد جدا ، وابتدرنى قائلا بحدة : « إيه ، فيه إيه . . هم الأقباط عاوزين إيه . . مالهم الأقباط ، هم كويسين قوى كدة . . أحسن من كده إيه . . مطالب مطالب مطالب . »

✠ المقابلة باينة من أولها .

✠ ومع ذلك ، قلت له مبتسما : « مش تسألنى وتقول لى فيه إيه ؟ » فرد علىّ محتدا قائلا : « هوه فيه وقت علشان أقولك وتقول لى . . ما هو مفيش حاجة . » ووجدت نفسى غاضبا وزعلانا ، وقلت للريس : « ده بدل ما تستقبلنى وتحيينى بفنجال قهوة وتسمعنى ، وفى الآخر يا تعمل يا ما تعملش ؟ كده من الأول تحاول تعرفنى إن ما فيش وقت لعرض موضوعاتى ؟ » وخرجت عن طوعى وأنا زعلان ، وقلت له وأنا ماشى غاضبا : « منك لله . . منك لله . . »

✠ ورجعت إلى البطرخانة مع عضو مجلس الشعب ، الذى خرج خلفك وأنت غاضب ، واعتذر لقداستك وتأسف ، فقلت له : « إنت كتر خيرك ، تمكنت من تحديد الموعد . أما استقبال عبد الناصر لى بهذه الطريقة إنت مالكش ذنب فيه . » ووصلك إلى المقر البابوى وروّح .

✠ أما أنا فرجعت على العشية والتسبحة والصلاة ، ودخلت قلايتى لأنام .

✠ وفى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، حضر عضو مجلس الشعب ، وطرق الباب ففتحه البواب ، وطلب أن يقابل تلميذك سليمان ، وما إن التقى به حتى قال له : « عبد الناصر عاوز يقابل البابا دلوقت حالا . » وحاول سليمان أن يعتذر له بأنك عملت التسبحة ، وصحتك تعبانة ، ومش ممكن تقدر تصحبه ، لأنه بعد ساعة ونصف سوف تقوم للصلاة . غير أن الرجل طلب أن يخبط على بابك خبطتين ، فإذا لم ترد ، سوف يعود إلى عبد الناصر ويقول له أنه وجدك نائما .

✢ ولكن الذى حدث أنه قبل أن يخبط على الباب ، كنت أنا مرتديا ملابسى ، وفتحت الباب ، وقلت له : « ياالله يا خويا .. يا الله . »

✢ لقد عرفت يا سيدنا أنك ذاهب إلى بيت الرئيس عبد الناصر الذى فى مصر الجديدة . ودخلت مباشرة إلى غرفة ابنته المريضة ، والتى حضر إليها أكبر أطباء مصر ، ووجدوا أنها لا تعانى أية أمراض عضوية ، وقلت وأنت تقترب إليها مبتسما : « ولا عيانة ولا حاجة . »

✢ اقتربت منها ، وصليت لها قرابة الربع ساعة ، وصرفت الروح النجس ، وعادت الابنة إلى طبيعتها تماما .

✢ لقد عرفنا إن عبد الناصر قد تذكر ما قلته له عندما قابلك باحتداد (روح منك لله) .. فلما أكد الأطباء أن ابنته لا تعانى أية أمراض عضوية ، تكلم مع صديقه عضو مجلس الشعب ليحضرك إلى بيته ؛ فقد أحس أنك رجل صالح .

✢ المهم إن عبد الناصر ، بعد أن عادت البنت لطبيعتها ومرحها ، بش فى وجهى ، وقال لى : « إنت من النهاردة أبويا . » وأحضر زوجته وأولاده ، وقال لى : « صلى لهم يا أبويا زى ما بتصلى لأولادك المسيحيين . » فصليت لهم .

✢ لقد قال لك : « من دلوقت يا أبويا ما تجينيش القصر الجمهورى .. البيت ده بيتك ، وتيجى فى أى وقت . »

✢ ومنذ ذلك اليوم ، كانت المحبة والتقدير والاحترام كل منا للآخر مثار إعجاب واهتمام . كما كانت مناقشاتنا تتم فى جو من الصراحة وبقلب مفتوح ؛ وما أكثر مقابلاتى التى تمت معه بعد ذلك .

✢ فى عام ١٩٦٥ ، زرته قداستك ومعك وفد من المطارنة لديهم مشاكل ومطالب .

✢ لقد كان اللقاء مثمرا ، خرجنا منه بأن الكنيسة ستبنى ، ووعد بحضور حفل الاحتفال بوضع حجر الأساس لبناء الكاتدرائية الجديدة بالأنبا رويس الذى أعلن مساهمة الدولة

بدفع مائة وأربعين ألف جنيه ، كما أمر الرئيس بفتح كنيسة حدائق حلوان . كما وعد بأن سوف يتخذ قرارا بإقصاء شخص - سبب لنا متاعب كثيرة - عن منصبه ، وفعلا أقصاه .

✠ لقد نقل إليك الرئيس عبد الناصر فى هذا الاجتماع رغبة أسرته فى مقابلتك .

✣ رحبت بذلك ، ودخلت بصحبة الرئيس إلى منزله ، حيث تقابلت مع أبناء سيادته ، ودعوت لهم بالتوفيق ودوام الصحة والسعادة .

✠ فى مقابلتك مع أولاده ، ماذا حدث ؟

✣ فوجئت بأولاد عبد الناصر وقد أحضر كل منهم حصالته ووقف أمامى ، وبعدين جمال عبد الناصر قال لى : « شوف يا أبويا ، أنا علمت أولادى وفهمتهم إن اللى يتبرع لبناء كنيسة زى اللى يتبرع لبناء جامع ، والأولاد لما عرفوا إنك بتبنى كاتدرائية ، لذلك قالوا لى إحنا هنحوّش قرشين علشان نقدمهم لأبونا لما يجى . وها هم أمامك ، وماتكسفهمش وخد منهم تبرعاتهم .

✠ وكان معك منديل محلاوى ، ففتحته ووضعته فى حجرك . وفتح كل واحد حصالته وفرغها فى المنديل . وبعد ذلك ، ربطت المنديل وحطيته فى جيبك . وما إن انتهت الزيارة وعدت إلى البطرخانة ، حتى ناديت على حنا يوسف حنا ، وأعطيته المنديل ، وطلبت منه أن يعد ما به .

✣ لقد كنت قد اتفقت على شراء أرض دير مار مينا ، وكنت على موعد لدفع مقدم الثمن . . ويشاء الرب أن يكون مجموع ما بالمنديل من تبرعات أولاد عبد الناصر يغطى مقدم ثمن الأرض وزيادة خمسة جنيهات أخذها أتعاب الذى كتب العقد

✠ كأن الذى اشترى أرض مار مينا هم أولاد عبد الناصر يا سيدنا .

✣ عندما فشل المجلس الملى فى أداء مهمته التى أدت إلى عجز فى ميزانية البطريركية ، طلبت مقابلة الرئيس فى ١٠ مايو ١٩٦٧ . زرت الرئيس وتناقشت نعه ؛ وقد تبرع الرئيس بمبلغ عشرة آلاف جنيه لسد هذا العجز .

✠ وأمكن بذلك دفع مرتبات العاملين بالبطريركية التى توقف دفعها لعدة شهور .

✠ ورأى سيادة الرئيس إصدار قرار جمهورى بإنشاء مجلس لإدارة أوقاف البطريركية . كما عرض الأساقفة المرافقون لى مشاكل إيبارشياتهم على الرئيس ، وكانت فرصة للعمل على حلها .

✠ لقد حاولت قداستكم طلب السماح بإنهاء المقابلة مرتين ، حفاظا على وقت الرئيس .

✠ ولكن الرئيس كان يقول مبتسما فى ود : « ميعاد الزيارة لم ينته بعد . » وعندما هممت بالانصراف ، شكرته بامتنان كبير ، واضعا يدى على صدره فى لطف .

✠ وأنت تقول : « إنى أضع يدى على يد الله ، لأنه مكتوب عندنا : إن يد الله على قلوب الرؤساء . »

✠ واغتبط الرئيس ، وسر بهذا الحديث كثيرا .

✠ وفى مساء اليوم ، حضر لقداستكم أحد رجال الدولة الرسميين ، حيث أبلغكم شعور الارتياح الذى واكب هذه الزيارة . كما أشار إلى أن الرئيس كان يحس بآلام فى صدره ، زالت جميعها عندما وضعت قداستكم يدكم فوق صدره .

✠ وفى ٨ يونية ١٩٦٧ ، أعلن الرئيس تنحيه عن رياسة الجمهورية أثر نكسة ٥ يونية . وقررت زيارته لأبلغه تمسك الأقباط به قائدا وزعيما للبلاد . وفى ٩ يونية ، صليت القداس ، وتوجهت مع وفد من المطارنة والأساقفة والكهنة إلى رئاسة الجمهورية ، وأعلنت تمسك الأقباط بقيادة الزعيم عبد الناصر .

✠ وما إن عدت إلى المقر البابوى حتى طلبت من الخدم أن يستعدوا لضرب الأجراس ، وكأنك كنت تتنبأ .. وما هى إلا لحظات حتى أعلن السادات ، وكان رئيسا لمجلس الأمة ، أن الرئيس استجاب لنداء الشعب بالبقاء .

✠ ولقد دقت أجراس الكاتدرائية المرقسية فرحة مستبشرة ، وفى ١٠ يونية توجهت إلى القصر الجمهورى .

✠ ما أكثر الأحاديث الودية واللقاءات التى جمعتكما . . ففى حفل افتتاح الكاتدرائية الجديدة فى ٢٥ يونية ١٩٦٨ ، كان اللقاء حارا بينكما . ولما توجه الرئيس للعلاج فى تسخالطوبو ، اتصلت به تليفونيا لتطمئن على صحته ودعوت له بالصحة والشفاء العاجل . . وكنت دائما ضمن مستقبليه فى أرض المطار ، وكان يطول عناقكما بصورة تلفت النظر . وكم من مرة ، عندما كنت تذهب لاستقباله رغم توعك صحتك ، فيقول لك : « لماذا لم ترسل مندوبا عن غبطتكم وأنت لم تتماثل بعد للشفاء التام ؟ » . . وعندما مرض ابنه عبد الحكيم ، الابن الأصغر ، استشفّيت قلق والديه ، فقصدت إلى دار الرئيس ، وصليت على رأس عبد الحكيم فمنحه الرب السماوى الشفاء الفورى .

✠ لقد كانت علاقتى بالرئيس عبد الناصر علاقات ممتازة ، وكان معروفا أننى أستطيع مقابلة عبد الناصر فى أى وقت أشاء .

✠ وقد أكد هذا الأستاذ هيكل فى كتابه « خريف الغضب » . لقد كنت حريصا يا أبانا على تجنب المشاكل ، وقد استفدت من علاقتك الخاصة بعبد الناصر فى حل مشاكل عديدة .

✠ هذا صحيح .

✠ كيف بدأت علاقة قداستكم والرئيس أنور السادات ؟

✠ بعد وفاة الرئيس عبد الناصر ، أجمع الشعب على اختيار أنور السادات للرياسة ، توجهت على رأس وفد من الكنيسة القبطية مؤيدين ترشيحه لرئاسة الجمهورية .

✠ وتحدث إليكم معبرا عن تقديره لقداستكم ومشاعركم الوطنية ، وقال إنه يعرفكم حق المعرفة ، وقد حضر حفل تنصيبكم بنفسه وكان فخورا به ، وأنه اعتبر تأييدكم عونا له فى المهمة الملقاة على عاتقه .

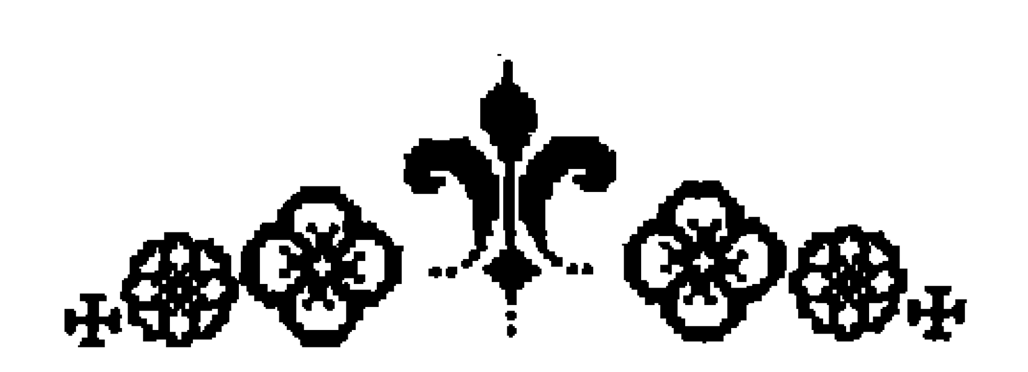
✠ كما قال أنه قرأ تاريخ البلد ، وأنه قد آن الأوان لكى تأخذ كنيسة الإسكندرية مكانها عبر التاريخ .

✠ وبعد اختياره رئيسا للجمهورية ، وكان المرض قد أثقلك ، أرسل لقداستكم الدكتور محمود فوزى رئيس الوزراء للاطمئنان عليكم ، وأمر بوضع كل إمكانيات وزارة الصحة تحت تصرف الأطباء المعالجين لقداستك ، كما أمر بوضع طبيبه الخاص تحت تصرفكم إذا لزم الأمر .

✠ لقد كان أنور السادات منذ أن كان نائبا للرئيس ، أو قبل ذلك أيضا ، مهنئا ومشاركا لنا فى الأعياد والمناسبات الدينية .

✠ وكنت قداستكم من المقدرين لمشاعره ، مؤيدا لخطواته الوطنية ، ودوره فى الحفاظ على السلام فى الشرق الأوسط .

✠ لم أغفل يوما قول المسيح : « راعى شعبك لا تقل فيه سوء » ، ولم أتوان يوما عن الصلاة من أجل السلام والكنيسة .



✠ قداسة البابا كيرلس السادس . . الكنيسة ومشاكلها بعد انتخابكم بابا الإسكندرية . . تحت هذا العنوان ، ما الذى يمكن أن يجرنا الحوار إليه ؟

✠ كم وددت أن أسقط هذه الحقبة من حوارنا . ولكن ، هل لو أنا أسقطتها . . هل سيسقطها التاريخ ؟ . . .كم سكبت من الدموع الغزيرة على المذبح المقدس أو فى قلايتى ، ألما وحزنا وتوجعا ، على الكنيسة ومشاكلها ، والتصرفات المحزنة والمحاربات التى لازمتنى منذ أن كنت راهبا وخلال فترة حبريتى .

✠ في طيات حوارنا خلال فترة رهبنتك بدير البراموس ، أو رياستك لدير الأنبا صموئيل ، أو في كنيسة مار مينا بمصر القديمة ،أفصحت عن قليل من كثير مما صادفك من متاعب ومشاكل . والآن ، هل لنا أن نكمل حوارنا عن المشكلات التي لم تنقطع خلال فترة حبريتكم التي دامت إحدى عشر سنة وعشرة شهور ، وعمن كانوا سببا فيها ؟

✠ لقد كانت مشاكل وتصرفات محزنة مبكية ، وعدم طاعة وجحود ، حروب ضارية وصراع اشترك فيه أعضاء المجلس الملي وبعض رجال الإكليروس والصحافة .

✠ ما الذي سببه المجلس الملي من مضايقات ؟

✠ عندما ارتقيت الكرسي البابوي ، كنت أعرف كافة ظروف الكنيسة المؤسفة . وكان من الضروري أن تكون الصلاة والصوم والقداسات اليومية هم المدخل الحقيقي في طلب معونة الله لإرشادي للإصلاح . وبدأت القداسات اليومية ، وبدأت أستقبل الشعب بعد القداسات وإلى ساعة متأخرة من الليل . وأصبحت البطريركية مزارا يفد إليه الناس من كل بلد وليس القاهرة وحدها لنوال البركة والصلاة . وبالطبع كان هذا غريبا على بعض المطارنة الذين ظنوها ظاهرة طارئة سوف تقتصر على أيام معدودات بعد الرسامة تنتهي . كما كان غير مألوف لبعض أعضاء المجلس الملي أن يروا البابا يذهب إلى الكنيسة كل يوم ويصلي فيها صباحا ومساء ، وأن البطريركية أصبحت لا تخلو من الزوار . وبدأ الهمس بأن البطاركة الذين سبقوني كانوا يتركون الصلاة لغيرهم ، وأن هناك أعمال أهم من الصلاة تحتاج من وقتي الكثير لبحثها وعلاجها .

✠ ونُقلت هذه الآراء لك فدهشت وتعجبت كيف تكون لرجل الدين أعمال أكثر أهمية من الصلاة ! وقلت إن هذه هي مهنتك ، وأن من ينادي بأن تترك مهمة الصلاة لغيرك يخطيء ؛ لأن الصلاة التي تقدمها لله والبخور الذي ترفعه لله ، فكيف نتعالى حينما يرفعنا هو إلى مرتبة أعلى ؟!

✠ وقلت لهؤلاء الهامسين أن يطمئنوا إلى الأعمال التي يريدون أن يقدموها على الصلاة ، فإن الصلاة سوف تصنع المعجزات ، لأننا لا نستطيع أن نعمل شيئا بغير معونة الله ، ونحن في صلاتنا نلتمس المعونة .

✠ وظل منهجك الصلاة والصوم والقداسات ، وهو المنهج الذى اخترته لنفسك منذ الصغر ، والذى به كانت تُحَلّ أصعب المسائل .

✠ ولم يعجب ذلك البعض ، وبدأ عدو الخير يعمل فيهم ويسخرهم :

(١) ففى عام ١٩٦٥ ، عندما سافرت لحضور مؤتمر رؤساء الكنائس الأرثوذكسية وعدت ، فوجئت بمقاول مكلف من المجلس الملى العام يقوم بإزالة بياض سقف الكاتدرائية ، وشرع فى هدم القبة الوسطى ليصب أخرى مكانها من الأسمنت المسلح . لقد منعته ، لأن الكنيسة كلها من الخشب ، والرسومات بالسقف آثار عزيزة للآباء السابقين . لقد واجهت المجلس الملى والمقاول ، وبنعمة الله انتصرت وبقيت الكاتدرائية .

(٢) تحرك ضدى بعض رجال الإكليروس ، وتقدموا بشكوى إلى الحكومة لتعيين مجلس بطريركى يدير شئون الكنيسة بحجة أننى رجل جاهل لا أعرف شيئا سوى الصلاة التى أزيد منها لأخفى جهلى وعجزى عن مواجهة المشاكل المستعصية والمتراكمة .

(٣) لقيت الكثير من المقاومة من بعض القيادات فى الكنيسة ، وكذلك المجلس الملى الذى ناصبنى العداء لأكثر من ست سنوات ، وذلك لأننى أردت أن أعيد الأوقاف لإشراف الكنيسة ، بعد أن أصبح المجلس يدعى عدم القدرة على الإنفاق على البطريركية والكنيسة ، واضطر للإستدانة من جمعية التوفيق القبطية ألفين جنيه ليدفع مرتبات الكهنة وموظفى الديوان البطريركى ، ثم توقف فى النهاية عن دفع المرتبات وكانت وقتها زهيدة . وأمام هذا الموقف المؤسف الذى تناولته الجرائد اليومية ، قابلت الرئيس جمال عبد الناصر وعرضت مشكلة الأزمة المالية التى تعانى منها البطريركية . وقد رأى الرئيس ، حلا لهذه المشاكل ، أن تتبرع الدولة بمبلغ عشرة آلاف جنيه ، مع حل المجلس الملى الذى ثبت فشله . وبعد ذلك ، شكلت لجنة اخترتها بنفسى من الأبناء المخلصين لإدارة أوقاف

البطريركية . وكانت نتيجة جهدها المخلص أن زادت موارد البطريركية ، وارتفع الرصيد من صفر إلى ما يزيد عن مائة ألف جنيه خلال سنتين .

(٤) لقد وجد المجلس الملى وبعض القيادات الدينية فى جريدة مصر القبطية اليومية قاعدة حاولوا منها أن يزعزعوا مكانتى أو يطعنونى لأرضخ ويضعونى تحت وصايتهم .

✠ هل لنا أن نعرف ماذا كتبت جريدة مصر فى محاربة قداستك ؟

✠ لقد كتبت :

« لقد آمل الأقباط فى البابا خيرا عظيما ، ولكن مرت الأيام وقداسته فى شغل شاغل بما يقام له من أقواس نصر وهو فى طريقه إلى الكنائس . . . أما شئون الشعب فلم يتسع لها وقته ولم تحظ بأى اهتمام أو يعيرها أى التفات لا هو ولا من حوله ، فكانوا على هذا العهد وبالا . . . لقد بدأ الناس يتساءلون متى تنتهى هذه الاستقبالات والزفّات حتى ينصرف البابا إلى العمل الجدى ويعوض علينا ما ضاع » .

✠ لقد كتبت الجريدة فى ١١ أبريل ١٩٦٤ مقالا ساخرا متهكما للرد على بيان الجمعيات القبطية بالإسكندرية بمناسبة مرور خمسة أعوام على رسامتك ، قالت فيه :

« أما حديث البيان عن الفتوحات والغزوات الكيرلسية فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، بالإضافة إلى الأقطار الغربية والشرقية ، التى امتدت إلى المريخ وزحل وبقية عوالم المجموعة الشمسية ، فحديث فكاهة يلذ للمدخنين ، وليس لنا بهذا التدخين هواية أو صلة ، فنتركه لهم لينعموا فى ضباب دخانه المتصاعد ، ويسحبوا من عبيره وتأملاته وخيالاته عز الله خاطره » .

✝ كما كتبت جريدة مصر فى ١٨ أبريل ١٩٦٤ مقالا تسخر فيه من تبكيرى للصلاة ، جاء فيه :

« إننا نعجز عن فهم حكمة قداسة البابا كبير أحبار الكنيسة وراعى رعاتها ، فى مفاجأته للكنائس فى ساعة مبكرة كالرابعة والخامسة صباحا ، وقرع أبوابها وإيقاظ خدمها ، وهى أوقات يكون المصلون من عامة الشعب ما زالوا فى فراشهم . هل هى خطة مدبرة لإرهاق الكاهن وخدمة الكنيسة ، أم هى مجرد نزهة فجرية لاستنشاق هواء الصباح العليل ؟ »

✝ لعل ما أورده لنا الأنبا فيلبس مطران الدقهلية يدحض حجتهم . فقد قال ، ذات يوم اتصلت به قداستكم فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، وقلت له : « إنت لسة نايم ؟ » تعالى بسرعة ، وهات ملابس الصلاة . » وتوجه إلى المقر البابوى وهو متعجب ، وهناك التقى بعم عزمى سائق قداستكم ، وكذلك الأستاذ سليمان رزق تلميذكم ، وسألهما عما إذا كان أيا منهما قد أخبرك بأن الساعة هى الواحدة بعد منتصف الليل وأنه موعد مبكر للغاية ؟ فأجاباه بالنفى . وفوجىء بقداستكم تخرج من قلايتكم ، وتدعوهم للذهاب إلى كنيسة القديسة بربارا بمصر القديمة . ولما وصلتم هناك ، وجدتم الباب مغلقا . فطلبت قداستك من عم عزمى أن يفتح الباب ، فحاول وفشل ؛ وكذلك الأستاذ سليمان ، ثم هو – الأنبا فيلبس . . وثلاثتهم فشلوا فى فتح الباب ، وكادوا يرجعوا من حيث أتوا . ولكن قداستكم تقدمت ورشمت الباب بعلامة الصليب ، وقلت : « افتحى أيتها الأبواب الدهرية ليدخل ملك المجد » ، فإذا الباب ينفتح على مصراعيه ، فذهلوا جميعا . ودخلت قداستكم وهم خلفك يرتلون . وصلّوا مزامير نصف الليل والتسبحة ورفع بخور باكر ، ولم يكن هناك أحد من خدام الكنيسة ، ولكن قداستك لم تتضايق ولم تيأس ، بل صليت مزمور « رفعت عينى إلى الجبال من حيث يأتى عونى » ، وإذا بالقربانى يحضر ومعه الحمل ؛ وكان خائفا من غضبك يا سيدنا . وذكر لنا الأنبا فيلبس أنه صلى القداس الأول وقمت قداستك بعمل المرتـل ، ثم حضر كاهن الكنيسة خلال التوزيع واشترك مع قداستكم فى القداس

الثانى الذى انتهى فى العاشرة والنصف صباحا ؛ أى أنك ظللت تسع ساعات ونصف وأنت فى منتهى النشاط والانتعاش الروحى ، ولم تبد متعبا أو قلقا ، بل قلت لهم بروحك الوديعة وهم معك فى سيارتك : « ليس هناك أحلى من الصلاة المبكرة ، إنها تشعر الإنسان بالفرح الإلهى ، ويحس باشتراك الملائكة معه . » لقد تركت هذه المعجزة فى نفس الأنبا فيلبس أثرا كبيرا جدا ، ولأيام كثيرة ، وظل يرددها كدليل حى للرد على الساخرين الذين اعتبروا زياراتك المبكرة للكنائس « مجرد نزهة فجرية لاستنشاق الهواء » سامحهم الله يا أبانا ، فقد تناسى هؤلاء ما جاء فى سفر الأمثال من قول : « الذين يبكرون إلىّ يجدوننى » .

✠ لقد عابوا علىّ الاهتمام بدير مار مينا بمريوط ، فقالوا : « إنه يترك الرعية ويهمل المسئولية ليقيم فى خرائب دير مار مينا . »

✠ لقد تناسوا أن قداستك ، عند بدء إنشاء الدير ، أقمت هناك أربعين يوما ، أقمت أثناءها أربعين قداسا ، واليوم أصبح بركة للآلاف من قاصديه .

✠ حتى ترددى على مقر كرسىّ التاريخى بالإسكندرية ، نسوا أننى أسقف تلك المدينة العظيمة ، وكتبوا مقالا ، يعلم الله أنه كله مغالطات وافتراءات وإهانات لشخصى . فقد حاول الكاتب ، مع الأسف ، بالتلميح والإيحاء ، أن يوهم القراء بأن مرجع ذهابى إلى الإسكندرية لأسباب رديئة .

✠ تقصد ذلك المقال الذى نشر فى ١٧ فبراير ١٩٦٤ ، والذى جاء فيه :

« ظن الناس كثيرا فى ذهابه ، حتى تضخمت المشكلة وانتشرت ، وسببت ضجيجا بسفره إلى الإسكندرية . ونسأل نحن الآن : نحن فى شهر فبراير ، كل الناس تهرب من الشواطىء من البرد ، وتهرب وتجىء إلى القاهرة ، وهو يسافر إلى الإسكندرية ؟ وأسأل : نحن الآن فى الشتاء وفى الصقيع ، ما الذى يحمله أو يجبره على معاناة البرد والصقيع والزمهرير هناك ؟ »

✠ وليتهم اكتفوا بهذه المغالطات ، بل حاولوا تأليب الرعية عليّ ، وإلصاق العجز بي في إدارة الكنيسة .

✠ فكتبت بتاريخ ٧ مارس ١٩٦٤ مقالا ، جاء فيه :

« دفعت هذه الأحوال عدد من العقلاء إلى التفكير في تدارك الأمور بالحسنى ، وهداهم تفكيرهم إلى اقتراح إقامة مجلس بابوى إلى جانب البطريرك يعنى بشئون الكنيسة مع المجلس الملى العام . وبالرغم من وجاهة هذا الرأى ، فضلنا أن نتيح للبطريرك فرصة أخرى ، وأن نمد له فى حبل الانتظار بضعة أشهر لعله يمل هذه المظاهرات ويشبع منها ، فيولى وجهه تلقائيا إلى دراسة حاجات شعبه . »

✠ بل لقد حاولت الجريدة أن تلوح فى وجهى بما حدث مع غيرى من بطاركة سابقين ، وتذكرنى بالصراع المرير بين المجلس الملى والبطاركة ، وأن أحد منهم لم ينتصر .

✠ لقد كان من الواضح فى كل ما كتبته الجريدة ، أنها تبنت الدفاع عن المجلس الملى ، وأصبحت المتحدث باسمه . . . لقد حاولت تشويه كل إصلاح قدمته ، بل حتى معجزاتك ، لم يخجل الكاتب أن يصورها على أنها نوع من الدجل والتغرير بالناس . وقد جاء بالمقال :

« وزاد الطين بلة ما كان يحدث من بعض الملتفين به ، إذ أخذوا يشيعون عنه أنه يشفى المرضى والمعتلين ، ويقيم المفلوجين والمقعدين ، ويخرج الشياطين ، وما إلى ذلك من ادعاءات . كانوا يدفعون البعض ليمثلوا المرضى الذين كانت تختفى عللهم بمجرد لمسة من قداسته . . ونبهنا الولاة الطائشين إلى ما سوف يكون لهذه الادعاءات من رد فعل سىء عندما ينكشف زيفها . »

✠ وكما ترى ، لقد هاجمتنى جريدة مصر فترات طويلة ، ولم يتورع كتابها عن أن ينعتونى بصفات رديئة ، وحاولوا أن يلصقوا بى أمورا باطلة عارية من الصحة .

✠ لقد دافعت عنكم السماء يا أبانا .. وخسرت هذه الجريدة المعركة ، ومن ورائها المجلس الملى العام (المفلس) كما كنت تسميه على مدى ست أعوام ... لقد خذلهم الله ؛ فقد أصدرت الجهات المسئولة قرارا بحل المجلس الملى العام ، كما أغلقت الجريدة .

✠ ولما عرفت بغلق الجريدة ، أسفت ، واتصلت بالجهات المسئولة ، ولكنهم عرّفونى أن هذه الجريدة انتهى أمرها إلى الأبد .

✠ وبقلبك الحنون يا أبانا ، سعيت قداستك ، حتى ألحقت عمالها جميعا بأعمال الطباعة ، وقلت : « لأن كلهم وراهم أسر .. يأكلوا منين ؟ »

✠ أما زلت تطلب المزيد من سرد التصرفات المحزنة التى صادفتنى وتحملتها بصبر وجلد .. ماذا أقول لك ؟؟ هل أحدثك عن المطران الذى سعى لاستصدار قرار بتشكيل مجلس وصاية علىّ ، مدعيا أننى رجل غير متعلم ، ولا هم لى إلا الصلاة فقط ، وأنه لا يكفى أن يكون البطريرك رجل صلاة ، وجال فى أنحاء مصر يجمع توقيعات من الآباء أعضاء المجمع المقدس ؛ وقد وقّع له بالفعل بعض أحبائى مما أحزننى أشد الحزن ؟

✠ على كل ، بعد أن فرغ هذا المطران من جمع ما استطاع من توقيعات ، عاد إلى أبروشيته بالجيزة ليقدم مشروعه إلى الجهات المختصة ، وقبل عشية اليوم التالى ، فاضت روحه ، بعد أن تناول بالخطأ جرعة من زجاجة السم التى كانت مجاورة لزجاجة دواء الكحة الذى كان يستخدمه - أليس هذا يؤكد أن من قاومك انتقم منه الرب ؟

✠ أرجو ألا ننسى فى غمرة الحوار أن إلهنا إله محبة ولا يجازى بالشرور ، وليعط الرب نياحا لروحه .

✠ هل تذكر يا أبانا الشخص الذى كان يوزع المنشورات ضدك ، ولما علمت أن رجال الأمن

قبضوا عليه ، طلبت الاتصال بالمسئولين للاطمئنان عليه ، وطلبت إطلاق سراحه ؟؟
هل تذكر من حاولوا التكتل عليك بهدف محاربتك وفشلك ساعين لإبعادك أو وضعك تحت وصايتهم ؟ . . لقد كنت تقابلهم بوداعة وتحادثهم فى محبة ، وكل ما فعلته لم يكن سوى صلاة ودموع لتسير البيعة فى أمان وسلام . . ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى تركوا العالم الواحد تلو الآخر .

✣ لقد حزنت عليهم لسنوات . . لقد كان كل واحد منهم يموت يأخذ جزء من روحى .

✣ هل تذكر يوم أن أصدرت قداستكم قرارا فى مشكلة من مشاكل الكنيسة ، وحضر إليك أحدهم ، وبدلا من أن يستوضح حقيقة الأمر ، هاجم قداستكم بضراوة ولامكم بعنف دون أن يكون ملما بالمشكلة ، وأخذ يردد عبارات لا تليق ، كقوله : « أنت أخطأت . . هذا لا يحق أو يجوز . » ؟

✣ لقد تضايقت فعلا ، وقلت له فى غضب : « طيب ، روح . . روح . »

✣ بعد هذا مباشرة ، أصيب هذا الشخص يا سيدنا بذبحة صدرية نُقِل بسببها إلى المستشفى حيث فاضت روحه .

✣ وعندما أردت يوما رسامة أحد الآباء الرهبان أسقفا لإحدى الإيبارشيات ، حضر إلىّ شخص ادعى أنه كبير أراخنة هذه الإيبارشية ، وعرّفنى أنه لا يرضى بهذا الراهب أسقفا ، وقال لى فى حدة : « لو رسمته يا سيدنا ، هنرجعه لك مرة تانية . » وعندئذ غضبت ، وقلت له : « روح . . وربنا يعرف شغله . »

✣ لقد توفى هذا الشخص إثر حادث فى الطريق ، ولم يعد إلى منزله .

✣ ماذا تفعل يا ولدى عندما تكتشف أن بعض مدبرى المشاكل من أهم أبنائك إليك ، ألا يكون هذا طعنة موجعة إليك ؟ هذا ما حدث معى كثيرا ، وكنت أصفح دائما عنهم وأصلى من أجلهم . . بالطبع يعوزنا الوقت والصفحات لتقديم المزيد من التجارب التى مرت بى . لقد كنت مع كل مشكلة أدعو الله فأجد ذراعه الرفيعة الحانية

تؤازرنى . . كم صليت بلجاجة ودموع غزيرة ، وكلما كثرت أحزان قلبى ، أجد الرب يخرجنى من شدائدى ناظرا إلى تعبى ومذلتى ، حافظا نفسى .

✠ لقد عانيت الكثير يا أبانا ، فبرغم اضطهادك لم تكن متروكا من الرب ، ورغم حيرتك فلم تكن يائسا . . ومع ذلك ، سؤال ما زلت مترددا فى طرحه ، وهو : كيف دافعت عن نفسك يا أبانا المعظم ؟

✣ إن كل ما أثاروه من متاعب وضيقات لا تقاس بالنسبة للمخاوف التى شنها علىَّ من قبل عدو الخير فى المغارة . لذلك لم أهتم بمغالاتهم فى التجريح والهجوم علىَّ ، فى طعنى والتشهير بى ؛ ولذت بالصمت ففوّت عليهم الفرصة ، وأشكر الرب أنه لم يتسرب إلى نفسى شعور الإحباط أو الإحساس بخيبة الأمل .

✠ بالرغم من دأب فريق على إرسال خطابات يكيلون لك فيها الذم ، وبرقيات تحمل إليك السخرية والتهكم ، كنت تتمنى أن تتشابك الأيدى وتتكاتف القلوب لتنهض الكنيسة نهضتها المرجوة . وبالرغم من أن الأسقف رئيس دير الأنبا أنطونيوس قد وجه لقداستكم الإهانات فى نشرات وخطابات وزعها على أعضاء المجمع المقدس الذين اجتمعوا لمحاكمته عن هذه التهمة مع تهم أخرى تتعلق بالعقيدة ، إلا أنك –

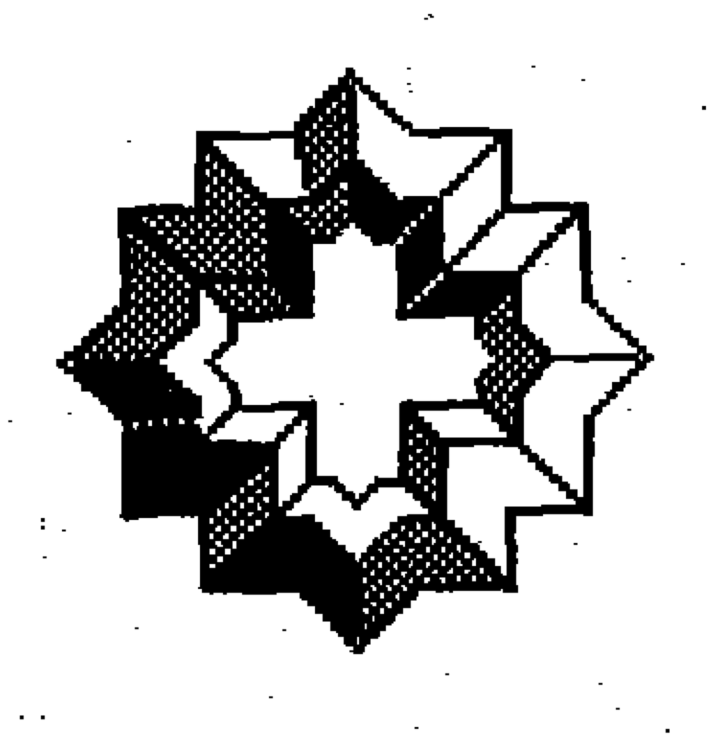
✣ حزنت جدا أن يحاكَم أسقف وأنا فى أول عهدى بالبابوية ، لذلك أعلنت فى جلسة المجمع المقدس بأنى مسامح فى التهم الخاصة المنسوبة له بالنسبة لشخصى ، ولم أربط تنازلى بأى شروط .

✠ لقد قرر المجمع تجريد الأسقف من أسقفيته للتهم المنسوبة إليه ، ورُفع الحكم لقداستكم مصحوبا بالتماس الآباء المطارنة والأساقفة بتخفيفه برجوعه إلى الدير الذى تقرره قداستكم ، على أن يحضر إلى المجمع المقدس ويعتذر عما بدر منه ؛ وقررت تعديل وتخفيف الحكم عليه ، وشكرك المجمع لروحك المحبة الطيبة .

✣ لقد كان لى دائما طلبة أتضرع بها فى صلاتى ، وهى : « يا رب اغرس شجرة المحبة فينا ، نسألك اللهم أن تنميها أكثر فأكثر لتأتى بأثمار ، ثلاثين وستين ومائة . »

✠ على كل يا أبانا ، كل ما تم فى عهدكم من إنجازات واضح ، لا ينكره أحد .. فمن تعمير الأديرة والكنائس ، ونشر الكرازة فى الداخل والخارج ، وتشجيعك الخدمة وحب العلم ، واهتمامك برسامة أساقفة لا مطارنة - مؤكدا بأنها وظيفة معروفة فى القوانين الكنسية ، وما قدمت من مفاهيم جديدة لتلميذ البابا ، وما وضعت من نظام جديد وهو الأسقفيات المحددة .. كل ذلك إلى جانب فتح بابك للجميع ، واهتمامك بالطقوس الكنسية ، وزياراتك الرعوية لكنائس مصر وكل أثيوبيا ، وفضائلك الممثلة فى بساطتك ووداعتك وحكمتك وصلاتك ، وصفحك وهدوء وطيبة قلبك .. كل ذلك يذكره لك أولادك ومحبيك وتلاميذك ومريديك .

✠ نشكر الرب الذى عظّم العمل معنا .



✠ غبطة البابا كيرلس السادس .. كما كنت رجل صلاة ، كنت أيضا رجل رسائل ، فما أكثر رسائلك التى أرسلتها إلى الأحباء والأصدقاء والمعارف والرهبان والمغتربين ، فقدمت لهم فيها النصائح ، وتطلب إليهم تنفيذ تعاليم المسيح ، وتحمل إليهم خالص الدعاء والبركات .. تُرَى ، هل لنا أن نسوق لمن يتابعون حوارنا بعضا منها ؟

✠ أذكر أن شكت لى سيدة لمرات عديدة حرمانها من النسل ، ولما كنت أعرف عن حياتها الكثير ، فقد لفت نظرها فى محبة ولطف إلى منهج السلوك كزوجة مسيحية . لقد كتبت لها :

« أيتها الأخت المباركة (أول) واجب مهم والذى بواسطته تحل عليك البركة والنعمة هو احترام زوجك ، ولا تعملى عملا بدون مشورته ويكون هذا العمل يغضبه ، فهذا ليس حسن . وكذلك لا تقولى قولا ولا كلاما يكدره . لأن سر الزيجة عظيم ، وقد شبهه بولس الرسول باتحاد المسيح بالكنيسة ، فالمسيح رأس الكنيسة ، والرجل رأس المرأة ، وكما أن الكنيسة تحترم المسيح وتعمل وصاياه ، كذلك على المرأة أن تحترم زوجها وتسمع كلامه . وكما أن الكنيسة لا تعمل عملا يغضب المسيح ، فكذلك يجب على المرأة ألا تعمل أعمالا أو تقول أقوالا تكدر زوجها فتكون تتهاون بالسر الذى وضعه المسيح فى كنيسته الطاهرة .
(ثانيا) يجب عليك مداومة الذهاب إلى الكنيسة لأن هذه النعمة عظيمة ، وتمسكى بالتواضع خصوصا فى بيت الرب ، ولا تنتظرى الكرامة . اجلسى على الأرض فى بيت الرب وانظرى إلى الموجودين - بل أقول أحقر الموجودين - إنهم أفضل منك ؛ فإذا فعلت ذلك ، ينظر الرب إلى تواضعك وانسحاق قلبك كما نظر إلى تواضع وانسحاق قلب حنة أم صموئيل النبى ويعطيك سؤل قلبك كما أعطاها . يجب عليك الاعتراف والتناول من جسد الرب ودمه . وبعد التناول ، احذرى أن يخرج من فمك كلمة رديئة أو غضب أو حقد على أحد أو نميمة فى حق الغير أو حلفان أو شتيمة . هذه الوصايا ليست صعبة ، بل اعزمى فى قلبك على عملها . والرب يساعدك ، وأنا لى عشم فى يسوع المسيح أن ينظر إليك بعين تحننه ويعطيك كل ما فى ضميرك ، لأنه قادر على كل شىء . »

✠ لقد جعلت احترام الزوج هو المدخل الحقيقى للبيت المسيحى ، وهو واجب يعنى المحبة والاتضاع . كما أعتقد أن كلام الرسالة كما هو موجه للزوجة موجه للزوج .

✠ أما الرسالة الثانية ، فهى إلى الرهبان فى دير الأنبا صموئيل بمناسبة عيد الميلاد المجيد عام ١٩٥٠ ، لقد كتبت :

« أهنئكم بعيد الميلاد المجيد ، أعاده الله عليكم بالبركات والنعم ، متضرعا إلى جلاله القدوس أن يجعل السلام والطمأنينة والمحبة والألفة بينكم ، لكى تكونوا قلبا واحدا ورأيا واحدا . متواضعين بعضكم بعضا ، لأنكم أخوة فى المسيح ساهرين على خلاص أنفسكم ، لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ، عالمين أن عدوكم كأسد زائر يجول ملتمسا أن يبتلع واحدا منكم ، فقاوموه راسخين فى الإيمان . وإن كنتم لا تفطنون لتلك الأفكار الدقيقة التى يزرعها هذا العدو الكثير الخداع ، فصلوا بحرارة لكى المسيح إلهنا يحسبكم أهلا للنجاة من خداعه ومكره . ونذكر أن التلاميذ أخذوا يفكرون من هو الأعظم ، فعلم يسوع أفكارهم ، وقال بفمه الإلهى : « من أراد أن يكون فيكم عظيما فليكن أحقر الكل ، ومن أراد أن يكون الأول فليكن آخر الكل وعبدا للجميع » . فأرجوكم باسم الفادى أن لا تكونوا غير فاهمين هذه الأمور ، لأنه ليس أحد يأخذ الكرامة لنفسه . قال معلمنا العظيم من العارفين مار اسحق : « من عدا وراء الكرامة هربت منه ، ومن هرب منها بمعرفة تبعته وأرشدت الناس إليه ، فالكرامة الحقيقية هى التى تكون من الله ، أما الكرامة العالمية فتضر صاحبها » . ولا يفتخرن أحد بخدمته أو بكلامه ، لأن الرسول يقول : « من يتكلم فكأقوال الله ، ومن يخدم فكمن قوة يهبها له الله » . اصطلح مع نفسك فتصطلح مع السماء والأرض . لا يقرف أحدكم أخيه بكلمة صعبة ، بل صالحوا بعضكم بحلاوة المحبة . ولا تغرب الشمس عن غيظكم . ولا تعطوا مكانا للغضب . لا تعملوا عملا بدون مشورة ولو ظننتم أنه جيد . . اشفقوا على ذواتكم لأن أيام غربة هذه الحياة قليلة ورَدِيّة . اطلبوا أولا ملكوت الله وبره ، والباقى كله تُزدادونه . لا تهتموا بشىء لأن الرب قريب ، لا تتكلوا على المعرفة البشرية لأن الإيمان أفضل منها . تمسكوا بالبساطة أكثر من المكر والحِيَل . يا أولادى الأعزاء ، تشتاق نفسى ، بل تتوق نفسى أن نكون جميعا قلبا

واحدا وروحا واحدا ، وكل أعمالنا لمجد اسمه القدوس . اسكبوا قلوبكم ونفوسكم أمام الله لكى تعبُر عنا سلاطين الظلمة ، وينير الرب أمامنا الطريق المؤدى إلى الحياة . ما أضيق الباب ، وأكرب الطريق المؤدى إلى الحياة ، فبدون يسوع لا يمكن عبوره ؛ فنسأله أن يمسكنا بيمينه العالية ، وذراعه الحصينة ، وليملأ قلوبنا جميعا بالمحبة التى هى رباط الكمال ، لأن بدون المحبة كل أعمالنا باطلة . امتحنوا كل شىء وتمسكوا بالحسن . ولتكن جميع أعمالكم بلياقة ، وتواضعوا بعضكم لبعض لأن الرب يرفع المتضعين ، وبالتواضع والمسكنة نربح كل شىء . جاهدوا قدر قوتكم فى خلاص نفوسكم ، ولا ندع الأيام تمر علينا ونحن متكاسلين ، اشكروا دائما على كل شىء ، لأن الفم الذى يشكر يقبل البركة . ساعدوا الضعفاء بكلمة تعزية لتجدوا نعمة أمام محب البشر . وإنى - لضيق الوقت - أكتفى بهذه الكلمات التى قرأتها من أفواه القديسين طمعا فى بركتهم ، وشفاعتهم أمام مخلصنا الصالح . سلامى لكم جميعا ، ونعمة الرب تشملكم ، وعنايته تلاحظكم ، ويمينه تسندكم ، وملاكه الطاهر يخلصكم من كل شر وشبه شر . »

✠ يا لها من رسالة فيها اهتمام وتحذير وتذكير . . مطالبة بالاتضاع وتنفيذ الوصايا والجهاد والسلوك بلياقة والمشورة والشكر . إنها رسالة موجزة ، ولكنها تحمل وصايا هامة وضرورية للرهبان والذين يعيشون فى العالم . وهى صادرة من راهب اختبر حياة الوحدة وتعمير النفوس .

✠ أما رسالتى الثالثة ، فقد أرسلتها إلى أبنائى المغتربين فى مختلف القارات بمناسبة الصوم الكبير ، لقد كتبت لهم :

« سلام لكم من الرب ونعمة وبركة إلهنا الصالح الشفوق الذى يحفظ أولاده فى كل مكان وكل وقت ، الذى وعدنا قائلا : « ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر » ، هو أيضا فليكن معكم فى غربتكم ،

وليحفظكم من كل عثرة ومن كل شر ومن كل فكر ردىء ، ثابتين فى محبته وحفظ وصاياه ، راسخين فى عقيدتكم الأرثوذكسية وفى تقاليد كنيستكم التى تسلمتْها من الآباء والرسل ومن قديسى الكنيسة الأطهار ، وليسمعنا الرب عنكم فى كل حين كل خبر طيب .

« أكتب إليكم فى هذه الأيام المقدسة التى صام فيها الرب عنا أربعين يوما وأربعين ليلة ، راجيا لكم فى هذا الصوم ملء البركة والنعمة تقضونه فى طهارة وبر حتى تفرحوا بقيامة الرب وفاعليته فى حياتكم . إن الصوم يا أولادى هو أول وصية سلمها الله للبشرية حين أمر أبوينا الأولين آدم وحواء أن لا يأكلوا من بعض أثمار الجنة . والصوم هو أول عمل قام به ربنا وسيدنا يسوع المسيح بعد العماد ، قبل أن يبدأ عمله الكرازى بين الناس . والصوم هو أول عمل قام به آباؤنا الرسل القديسون عندما رُفع عنهم العريس حينئذ صاموا ، وفيما هم يصومون ويصلون ، كلمهم الروح القدس . والصوم هو السلاح الذى نهزم به الشياطين ، إذ قال الرب : « هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلاة والصوم » . الصوم سلاح استخدمه الأنبياء أنفسهم ، فقد صام موسى وصام إيليا وصام داود وصام عزرا ونحميا ، حتى الأمميين صاموا طلبا لرحمة الرب ، كما صام أهل نينوى فرفع غضبه عنهم . وفى أرض الغربة صام دانيال النبى ، وما أجمل قول الكتاب عنه أنه : « وضع فى قلبه أن لا يتنجس بأطياب الملك » . وهكذا أكمل القطانى واشترك معه فى الصوم الثلاثة فتية القديسون ، وأعطاهم الرب فى صومهم نعمة فى أعين الكل ، وأعطاهم صحة وقوة فظهروا أجمل وأقوى من جميع الفتيان الذين أكلوا من أطايب الملك وخمر مشروبه . والصوم يا أولادى هو السلاح الذى نُخضع به شهوات الجسد لكى تسمو الروح وتقوى ، ولذلك يتسم الصوم بالروحانية ، فهو ليس مجرد فضيلة للجسد . حقا إن الصوم فى المسيحية هو الانقطاع عن الطعام فترة معينة من الزمن ، يعقبها طعام خال من الدسم الحيوانى ،

ولكن إلى جوار هذا يجب أن يقترن الصوم بفضائل روحية تعطيه طابعه الروحى . يجب أن نقرن الصوم بالتوبة والانسحاق والاعتراف بالخطية ، مثلما صام أهل نينوى ، ولبسوا المسوح ورجعوا عن طريقهم الرديئة ، وعن الظلم الذى فى أيديهم ، وصرخوا إلى اللـه بشدة فنظر إلى توبتهم ورحمهم . هذه التوبة المقترنة بالصوم يشرحها الرب بكل تفصيل فى سفر يوئيل النبى ، إذ يقول الرب : « ارجعوا إلىّ بكل قلوبكم ، وبالصوم والبكاء والنوح ، قدسوا صوما نادرا باعتكاف » (يوئيل ٢ : ١٢ - ١٧) ؛ وبمثـل هذا الصـوم صام دانيـال النبى ، وقال فى ذلك : « فوجهت وجهى إلى الله السيد طالبا بالصلاة والتضرعات وبالصوم والمسح والرماد وصليت إلى الرب واعترفت » (دانيال ٩ : ٣ و ٤) . وبنفس الطريقة صام نحميا وعزرا وداود . إن الله يريد هذه التوبة حينما تنتصر الروح على الجسد فى فترة الصوم . وتستطيع أن تُخضع الجسد وتصلبه مع كافة أهوائه . فاجعلوا صومكم يا أولادى نقيا مقدسا ، لكى يكون مقبولا عند الله ، مثل أصوام القديسين . واحتفظوا بنقاوتكم فى أرض غربتكم ، وعيشوا فى حياة التوبة المرضية لله . ولتكن فترة مناسبة للاعتراف ، والتناول من الأسرار المقدسة ، لكى تثبتوا فى الرب ويثبت هو فيكم ، كما ثبت فى الأغصان الحية المثمرة فى الكرمة الحقيقية ، وإله كل رأفة يحفظكم ويثبتكم ويقويكم . وليكن صومكم أيضا مصحوبا بالصلاة وبالقراءة فى الكتاب المقدس والكتب الروحية وسير القديسين . وليكن صومكم أيضا مصحوبا بالتأمل وخاصة فى الذكريات المقدسة الكريمة التى تمتلىء بها فترة الصوم المبارك . واحتفلوا بالبصخة المقدسة ، وبكل ألحانها العميقة وذكرياتها المؤثرة وقراءاتها العميقة ، وبكل ما يليق بها من نسك وخشوع ، عالمين أن هذه الأيام فى عمق طقوسها الروحية ، وفى عمق صلواتها ، إنما هى نبع الروح ، يُشبع الإنسان ويرويه ، ويمده بزاد عجيب نافع للأبدية . اهتموا بكل الوسائل الروحية اللازمة لبنيانكم ،

وعيشوا كما يحق لإنجيل المسيح حسب الدعوة التى دعيتم إليها (أفسس ٤ : ١) ، وكونوا أنوارا فى كل مكان تحلون فيه « يرى الناس أعمالكم الصالحة فيمجدوا أباكم الذى فى السموات » (متى ٥ : ١٦) ، مقدمين فى حياتكم قدوة صالحة وشهادة حية لروح الله العامل فيكم . واعطوا كل واحد صورة ناصعة لكنيستكم المقدسة بإيمانها الأرثوذكسى السليم وتاريخها الرائع المجيد ، وتأثيرها الدائم العميق فى العالم المسيحى .
وإلهنا المحب الذى كان مع إبراهيم فى أرض غربته وحفظه فى طهارته وفى أمانته ، هو أيضا فليكن معكم فى أرض غربتكم ، وليحفظكم بيمينه الحصينة مقدسين وكاملين ونامين فى كل عمل صالح . كونوا بخير معافين فى الرب ، مصحوبين بالبركة وصالح الدعاء ومستقبلين أياما مقدسة وعيدا سعيدا مباركا . »

✠ ما أجمل ما جملته هذه الرسالة من وصايا بالثبات فى العقيدة الأرثوذكسية والصوم للانتصار على الشهوات مع اقترانه بالتوبة والاعتراف بالخطايا .

✠ أما الرسالة الرابعة ، فقد كتبتها عام ١٩٣٣ لفتى فى الحادية عشر من عمره عندما نجح فى الشهادة الابتدائية ، قلت له فيها :

« أيها الابن العزيز المحبوب المبارك من الرب الذى دوما مبتهلا من أجله إلى يسوع المسيح الفادى العظيم لكى يحافظ عليه ويساعده وينجح مقاصده ويهب له الفهم والمعرفة . لقد سررت جدا بنيلكم الشهادة ، لذلك أقدم لكم التهانى . نعم ، ولو أنى تأخرت كل هذه المدة وذلك لأسباب كثيرة ، ولما حان الوقت ، بادرت بالكتابة ، وقبل أن أبتدىء قدمت لكم التهانى . ولكن اعلم أنه ليس بقوتك وفهمك ومذاكرتك الكثيرة حصلت على الشهادة ، بل بقوة الله ونعمته ، فهل هذا الفكر دائما عندك وتشكر دائما وتطلب العون والمساعدة ، والا تقول بفهمى وقوتى وعلمى ، أرجو ألا يكون كذلك ، بل إنك تعترف فى السر والعلانية أن الرب هو الذى

ساعدك وقواك . صلاة يا ربى يسوع المسيح رب النعم والبركات - معلم الإنسان العلم الذى قلت على لسان نبيك سليمان : « توكل على الرب من كل قلبك وعلى فهمك لا تعتمد » نعم ، طوبى للإنسان المتكل عليك فإنك تهب له كل الخيرات وتعطيه الفهم وتشجعه فى الضعف . أشكرك لأننى حقا نظرت وتحققت أن مواعيدك صادقة ، إذ صنعت معى إحسانا ووهبت لى هذه النعمة ، وبينما كثيرون أفضل منى علما ونباهة وذكاء لم يمكنهم الحصول عليها . فأنا أطلب من مراحمك أن تجعلنى دائما متوكلا عليك بكل قلبى ، وتحفظنى من كل شر وتمسك بيمينى لكى لا أحيد عن وصاياك ، وبما أننى ليس لى ولا أستطيع أن أكافئك على كل إحساناتك لى فعوض ذلك أقدم لك شكرا وحمدا من كل قلبى ولك المجد مع أبيك الصالح والروح القدس المعزى الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين .

أما النصائح التى أريد أن أكتبها لك وأرجو أن تعمل بها لكى الرب ينجح مقاصدك : عندما تستيقظ من النوم باكرا ارسم علامة الصليب على وجهك وقول باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين . وأيضا المجد للآب والابن والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين . وصلى « أبانا الذى فى السموات » ، وقل هذا المزمور الصغير الحلو : « سبحوا الرب يا جميع الأمم ولتباركه كافة الشعوب لأن رحمته قد قويت علينا وحق الرب يدوم إلى الأبد ، هللويا » ثم اشكر الله على حفظه لك فى الليلة الماضية ، وأتى بك إلى هذا الصباح ، واطلب منه كل ما تحتاجه ، واذهب قبّل يدى والدك ووالدتك واغسل وجهك وقف صلى « أبانا الذى . . » ، وطلبة صغيرة من عندك ، ثم البس ملابسك ، وإذا كان الوقت باكرا ، فاقرأ إصحاح من الإنجيل . اذهب إلى مدرستك بسلام بعد أن تطلب دعاء والديك . وأنت سائرا فى الطريق ، قل فى فكرك : « يا رب يسوع المسيح حافظ علىّ » ، « يا ربى يسوع استرنى » ، ومثل هذه الأقوال . وعندما تدخل الفصل ، ارسم علامة

الصليب وقل : « يا ربى يسوع المسيح اعطنى الفهم » . وعندما يصعب عليك فهم شيء ، اطلب بكل قلبك وهو يجود عليك بالفهم . وإذا خرجت الفسحة ، ابتعد عن الغوغاء ؛ إياك والمزاح والكلام غير النافع . احذر من المعاشرات الرديئة لأنها تفسد الأخلاق الجيدة . وعند خروجك من المدرسة ، اذهب إلى البيت ولاتضيّع الوقت فى اللعب لأن الوقت من ذهب . وفى البيت ، اخلع ملابسك واسترح واجلس بهدوء وأدب ولا سيما عند حضور والدك ، ولكى يتعلم إخوتك الصغار منك . كن مطيعا فى كل شيء لأن ابن الطاعة تحل عليه البركة . لا تكذب فإن الكذاب ابن الشيطان . لا تحلف ولا تغضب ولا تشتم . عندى الكثير لأكتبه لك ، ولكن أردت أن أكتب لك قليلا قليلا لكى يمكنك أن تقوم بعمله . بلّغ سلامى للجميع كل باسمه . ونعمة ربنا تشمل جميعنا وله الشكر دائما . »

✠ لقد لفت نظرى توقيعكم الرسالة « الحقير : القس مينا البراموسى » . على كل يا أبانا ، بالرغم أن قداستكم قد كتبت هذه الرسالة عام ١٩٣٣ ، إلا أن النصائح والإرشادات القيّمة والعظيمة التى حملتها تنفع شباب كل جيل .. وكل ابن فى أيامنا هذه .

✠ الرسائل التى تحمل النصائح والإرشادات والوصايا والدروس المستفادة كثيرة ، ويعوزنا الوقت والصفحات لذكرها وكتابتها .

✠ وإن كنا نكتفى بهذا القدر من الرسائل ، إلا أننا ما أحوجنا لابن من أبناء البابا المخلصين الذين قدموا لنا كتب معجزاتك المباركة ليجمع لنا كافة رسائلك التى كتبتها للأهل والأقارب والأصدقاء والرفاق من رجال الدين كهنة ورهبانا .. أساقفة ومطارنة .. شباب ورجال ونساء .. مسئولين ورجال دولة . نعم ، يتم البحث عن كافة الرسائل - كلما أمكن ذلك - وتجمع وتصنف توطئة لنشرها فى كتاب ، مع الحر

على عدم إغفال أى جزء من الرسالة مهما كان هذا الجزء مؤلما حاملا التقريع او الانتهار أو الوصايا والإرشاد ، حتى لا تفقد الرسائل مصداقياتها .

✠ ما أكثر الرسائل التى كتبتها بخط يدى !

✠ والتى كتبت فى إحداها لأحد الرهبان : « إن رأسك ناشفة وعاوزه كسرها . »

✠ لقد كتب بولس الرسول فى رسائله الكثير منها ، فإلى تيموثاوس قال : « الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع لكى يكون عند الباقين خوف » ؛ « وبخ ، انتهر ، عظ بكل أناة وتعليم » .

وإلى تيطس كتب : « فإنه يوجد كثيرون متمردين يتكلمون بالباطل ويخدعون العقول » .

وفى الرسالة إلى العبرانيين : «أطيعوا مرشديكم واخضعوا لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم » .

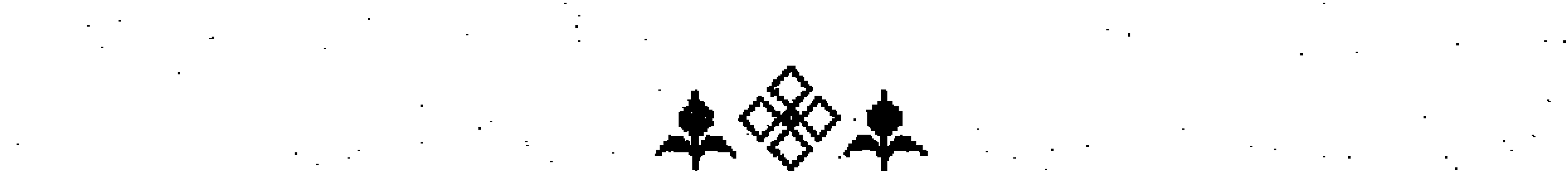
وفى رسالة يعقوب : « من هو حكيم وعالم بينكم فليُرِ أعماله بالتصرف الحسن فى وداعة الحكمة ، « حيث الغيرة والتحزب هناك التشويش وكل أمر ردئ » .

وفى رسائل بطرس الأولى والثانية : « اطرحوا كل خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمة » ، « احترسوا من أن تنقادوا بضلال الأردياء فتسقطوا من ثباتكم » .

وفى الرسالة إلى أهل تسالونيكى : « وإن كان أحد لا يطيع كلامنا بالرسالة فسموا هذا ولا تخالطوه لكى يخجل ، ولكن لا تحسبوه كعدو » .

أما فى الرسالة إلى غلاطية ، فقد كتب : « أيها الغلاطيون الأغبياء » .

لقد أردت بذكر ما كتبه الرسل فى رسائلهم من انتهار وتوبيخ ، أن أؤكد أن كل ما يكتب عن التقويم بحق مستحب .



✠ فى أكثر من كتاب ذكرت هذه الواقعة التى كتبتها ، ورواها كاهن بالقاهرة ، قال : « طلب منى قداسة البابا كيرلس أن أذهب إلى إحدى الكنائس لرفع بخور عشية ، حيث أنه وردت للبابا شكوى عن إهمال كهنة الكنيسة لهذا الطقس . توجهت إلى هناك ولم أجد أحدا فتضايقت كثيرا لذلك ، لأن منزلى يبعد كثيرا عن هذه الكنيسة ، وقلت فى نفسى : هل يرسلنى البابا إلى آخر الدنيا علشان كنيسة فاضية ؟ قابلت البابا بعد ذلك ، وكنت متضايقا مما حدث ، ولكنه قال لى : لا تتضايق . . بس روح أعمل عشية مرة تانية . وحدد لى اليوم . فذهبت إلى الكنيسة ، وكانت أيضا خالية من المصلين . ولكن عند خروجى من الهيكل للتبخير ، رأيت عجبا ، وجدت الكنيسة مملوءة بالسواح وهم كبار القديسين الذين ما زالوا فى الجسد ، بل أكثر من ذلك ، وجدت البابا كيرلس ذاته بينهم . فى اليوم التالى ، قابلت البابا ، فسألنى : إيه يا أبونا . . برضة الكنيسة كانت فاضية ؟ فسكت لأننى لم أستطع أن أجيب عن هذا السؤال ؛ وانحنيت أمامه . » هذه وغيرها كثير من الروايات التى تدور فى فلك السياح ، نشرت فى الكتب التى تحمل معجزاتك وحياتك ، وعدو الخير يحاول أن يشكك ضعيفى الإيمان فى صدقها . لذلك أستأذنك التوضيح .

✠ يا ولدى ، السياحة درجة عالية من القداسة يصل إليها الآباء المتوحدون بعد جهاد عظيم ومثابرة كاملة لبلوغ أعلى درجات الكمال المسيحى والروحانية المقدسة ، وذلك عندما تعمل داخلهم نعمة الروح القدس المنسكبة فى قلوبهم .

✠ لقد جاهر أحد الآباء الرهبان بأنه وجد الكثير من السياح مع قداستكم خلال وجودكم فى دير مار مينا ؛ وكانوا يحبون الصلاة معك ، كما كانت تعزيتك فى حضورهم وتناولهم من يديك الطاهرتين مع استعلان مجد الله على المذبح الذى يحوطه السمائيين ، وقداستكم مشارك لهم فى الصلوات ورفع القرابين . . ولقد أوضح الأب الراهب مكانتك فى مجتمع الروحانيين ، فقال باعتباره شاهد عيان رأى بنفسه بأنك كنت رائدهم ورئيسهم الأعلى فى حياتك ، ولمس مدى التفافهم حولك وارتباطهم بك ، وكيف كانوا يسترشدون بقداستك .

✠ أما زال فى الحوار بقية ؟

✠ لم يتبق لنا إلا القليل . . الرحلة من المرض إلى النياحة أو السفر كما كنت تسميه .

✠ لقد أصبت بانسداد فى الشريان التاجى اضطرنى لملازمة مخدعى طوال خمس سنوات .

✠ لقد حددت موعد نياحتك بخمس سنين . . وكانت كل تصرفاتك تؤكد ذلك . . فمثلا ، قلت لأحد أبنائك الذى وقف يمتدح أعمالك ودعا لك بطول العمر : « كلها خمس سنين . » فى مايو ١٩٧٠ ، كنت فى زيارة لدير مار مينا ، وعند مغادرتك له ، استدعيت أمين الدير ، وسلمته عدد من القلنسوات بعدد رهبان الدير ، ثم توجهت إلى الكنيستين بالدير وعملت تمجيد للقديسين مار مرقس ومار مينا . وبعد ذلك ، استقليت سيارتك وأنت تغالب دموعك . حدث هذا على خلاف عادتك عند زيارة الدير وعودتك ، فقد كنت تجلس مع كل راهب على حدة وتتحدث معه وتمنحه البركة وتعطيه هدية تذكارية ، ثم تتوجه إلى الكنيسة لصلاة الشكر ، وتغادر الدير مبتسما . ولم تكن تعرف أنها الزيارة الأخيرة للدير واللقاء الأخير بالرهبان . لقد كانت وصاياك لأولادك بالمقر البابوى فى الستة أشهر الأخيرة قبل النياحة تنصب حول الاهتمام بالكنيسة . وقبل نياحتك بيوم واحد ، قلت للقمص بنيامين سكرتير غبطتك : « خلاص . . كل شىء انتهى . . خلوا بالكم من الكنيسة واهتموا بيها ، وربنا معاكم ويدبر أموركم . » وامتدت يد قداستك إلى جوارك ، وسلمته الدفاتر الهامة التى لم تكن تتركها لأحد ، وقبل أن يخرج أبونا بنيامين ، أعطيته البركة والصليب ليقبّله علامة انتهاء المقابلة . وفى يوم نياحتك ، عندما أتاك سائق سيارتك طالبا البركة ، قلت له قداستكم إنك زهقت خلاص وعاوز تسافر . وقال لك : « أنا تحت أمرك يا سيدنا . » وخرج ليجهز للسفر ، ولم يكن يدرى أنك تقصد السفر إلى السماء . . هذا بخلاف ما كان يُروَى قبل نياحتك من أشخاص كانوا يرونك وأنت تودعهم وتمسك بأيديهم وتباركهم ، وقبل نياحتك بيوم واحد ، قلت لأحد الرهبان إنك خلاص مسافر ومش راجع تانى . بماذا تعلل ذلك يا سيدنا ؟

✠ من رحمة الله ألا يكشف ذلك إلا لمختاريه . . على كل ، لقد استيقظت فى الساعة الخامسة والنصف يوم ٩ مارس ١٩٧١ ، وصليت فى قلايتى ، ثم استمعت إلى القداس الإلهى عن طريق السماعة من الكنيسة إلى قلايتى حيث كنت لا أستطيع الوقوف لأحضر القداس .

✠ ثم دخل الطبيب واطمأن على صحتك . وبعد قليل ، خرجت بنفسك وباركت أبناءك قائلا : « الرب معكم ويدبر أموركم . » وقبل أن تغلق باب القلاية ، سألت عما إذا كان أحدا يريد منك شيئا ؛ ثم قلت للواقفين : « الرب يدبر مصالحكم . » وما كادوا ينصرفون من المقر البابوى ، إلا وسمعوا صوت الشماس الخاص بقداستكم يصرخ .

✠ فحضر الأطباء ومعهم القس تداوس الذى قام بتكفينى .

✠ والذى كنت تناديه داعيا إياه « طوبيا » .

✠ على فكرة ، طوبيا هذا فى العهد القديم كان يقوم بتكفين فقراء الشعب الإسرائيلى فى السبى .

✠ لقد كنت تعلم يا أبانا بشفافيتك أن هذا الأب هو الذى سوف يكفنك .

✠ لقد كان لى وصية مكتوبة بأن أدفن بملابسى التى توجد علىّ وقت نياحتى .

✠ ولكن الله أراد أن يكرّمك ، فلم يطلع على الوصية أحد . فألبسوك أفخم الملابس الخاصة بالصلاة والتاج المذهب الذى لم تلبسه إلا نادرا ، كما كان هناك صندوق فاخر كان واردا من الخارج قبل نياحتك بأربعة أيام ، مصنوع من الألومينيوم المؤكسد ومبطن من الداخل بالقطيفة ، وله غطاء بللورى ، أعد لوضع جسد قداستك فيه . لقد أجلسوا قداستك على كرسيك بالحجرة ، وسمحوا لقليلين أن يدخلوا ليروك . وفى الخامسة صباحا من يوم ١٠ مارس ١٩٧١ ، أنزلوا قداستك ، وأجلسوك على كرسيك الكبير بالبطريركية القديمة ، وتوافد فى هذا اليوم ما يقرب من مليون شخص

ليودعوك . كما حضر فى المساء إلى المقر البابوى الرئيس أنور السادات رئيس الجمهورية ونائب الرئيس ورئيس الوزراء والوزراء وأعضاء اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكى ، ورجال السلك الدبلوماسى ، والكثير من الشخصيات الرسمية . وفى الخامسة صباحا من يوم ١١ مارس ، نقلوا قداستك إلى الكاتدرائية الجديدة بالأنبا رويس -

✣ حيث أقيمت صلاة التسبحة والقداس الإلهى ، وخلعوا عنى التاج الكبير ، وألبسونى عمامتى السوداء والبلين الأبيض ، ووضعوا عصا الرعاية فى يدى وصليبى فى يمينى .

✣ وبعد الظهر ، أقيمت صلاة التبخير التى شارك فيها جميع المطارنة والأساقفة ورؤساء الأديرة وآباء من الكنيسة الأثيوبية والكنائس الشرقية وعدد كبير من الكهنة من مختلف البلاد ، وجموع غفيرة من الشعب امتلأت بهم الكاتدرائية ، وظل كثيرون خارجها يستمعون إلى الصلاة من خلال مكبرات الصوت . وحضر الصلاة رئيس الوزراء والوزراء ورجال الاتحاد الاشتراكى والأمن والسلك الدبلوماسى ووفود كنائس لبنان وسوريا وأنطاكية والكنائس الشرقية والقاصد الرسولى الذى أوفده بابا روما خصيصا مندوبا عنه .

✣ ثم دفنونى فى المقبرة التى أعدت أسفل الكاتدرائية المرقسية بالأنبا رويس .

✣ وكانت وصيتك التى طلبت فيها أن يدفن جسدك بدير مار مينا فى مريوط قد ظهرت ، وبدأ إعداد مدفن فى الدير استغرق إعداده سنة ونصف .

✣ لقد كانت وصيتى التى تركتها فى الدير مكتوبة بخط يدى وموقعة بإمضائى باللغتين العربية والقبطية ، ومختومة بخاتمى .

✣ بماذا أوصيت يا أبانا ؟

✣ لقد أوصيت بالآتى : « مساحة الـ ٥٠ فدان بصحراء مريوط وما عليها من مبان تكون ملكا لدير مار مينا العجايبى . وقطعة الأرض بتفتيش السيوف بالإسكندرية

وقطعة الأرض بكنج مريوط والعقار الكائن بمحرم بك بالإسكندرية وجميع العقارات والأراضى والكنيسة بمصر القديمة » جميع هذه ملك لدير مار مينا بصحراء مريوط .

✠ كما أوصيت أيضا بعد انتقالك ووفاتك أن يدفن جسدك بالمدفن الذى تحت الكنيسة بدير مار مينا بصحراء مريوط ، وتدفن بالملابس التى تكون على جسدك ولا لزوم لغيرها .

✠ وذيّلت هذه الوصية « كل من اطلع على هذه الوصية وعثر عليها فلا يخفها ولا يخالف ما بها ، ومن خالف هذه الوصية يكون محروما من فم الثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس وفم الرسل القديسين وفم حقارتى ويكون على شمال المسيح ، وعلى ابن الطاعة تحل البركة » ، ووقعت بإمضائى .

✠ لقد كانت الحكمة الإلهية أن يتأخر العثور على الوصية ، وفضها فى حينه ، لأنها أرادت أن تكرمك بما يليق بشخص قداستك ، وقد كان . أما من قام بتنفيذ هذه الوصية ، هو قداسة البابا شنودة المعظم الذى اختارته العناية الإلهية ليخلفك على كرسى مار مرقس الرسول ، وأستأذنك يا أبانا فى متابعة شرح نقل جثمانك الطاهر إلى دير مار مينا .

✠ لقد نقل الجثمان ودفن فى الدير حسب وصيتى .

✠ وكى يعرف الناس كيف تمت هذه الاحتفالات المباركة ، وحلول بركتك خلالها ، أستأذنك فى سردها . . فبعد ظهر الأربعاء ٢٢ نوفمبر ١٩٧٢ ، أخرج الجسد الطاهر من مدفنه ووضع أمام الهيكل بالكاتدرائية المرقسية . وقام غبطة البابا شنودة برفع بخور عشية ، ثم ألقى كلمة عدّد فيها الأعمال العظيمة التى أنجزتها قداستكم ، وبعدها قرأ الوصية التى كتبتها لدفنك بدير مار مينا . فى صباح الخميس ٢٣ نوفمبر ١٩٧٢ ، تحرك الركب برياسة الأنبا صموئيل إلى الدير فى صحبة جسدكم الطاهر ، وعرج فى الطريق إلى الكاتدرائية المرقسية بالأزبكية التى أمضيت فيها فترة رئاستك . كما سافر قداسة البابا شنودة إلى الدير فى ذات اليوم .

✤ لقد كان بالدير يومى الخميس والجمعة أعداد كبيرة من الزوار -

✤ أقلتهم ستون سيارة أتوبيس ومائتان سيارة خاصة ، بخلاف من وفدوا بالقطارات . وعندما وصل الجسد الطاهر إلى الدير ، حمله أبناؤك الرهبان إلى داخل الكنيسة ، وشاركهم فى ذلك عرب المنطقة وهم يبكونك . وقام البابا شنودة الثالث والآباء المطارنة والأساقفة برفع بخور عشية ، ثم وُضع الجسد فى مزاره الحالى وسط الصلوات والتسابيح التى استمرت حتى صباح اليوم التالى ، الجمعة ، حيث أقيمت القداسات وألقيت الكلمات المناسبة . وبعدها تبارك الجميع من الجسد الطاهر ، وغُطى المدفن بغطاء رخامى ضخم . ولك أن تعرف يا أبانا الحنون أن مقبرتك ، التى تتسم بالعظمة والهيبة والوقار ، أصبحت الآن مزارا مقدسا ، يقيم زوارها التماجيد ويُشتَمّ فيها البخور العطر المتميز ، وتحدث لزوارها المعجزات الكثيرة . . يا رجل المعجزات فى حياتك وبعد نياحتك .

✤ أما زال فى حوارك بقية ؟

✤ أن نوضح لمحبيك تلك الظواهر التى واكبت نقل الجثمان ؛ وسأكتفى بواحدة ، وهى ما حدث فى مريوط . .

لقد هطل المطر بغزارة لأول مرة منذ أكثر من أربع سنوات ، فامتلأت الآبار ، وارتوت زراعات البدو وجاءوا إلى الدير شاكرين ومهنئين الآباء الرهبان بوصول جسدك المبارك .

ومنذ ذلك الوقت من كل عام ، ينزل المطر فى مواعيده علامة يمن وبركة .

أما عن معجزاتك التى واكبت حياتك راهبا وبطريركا ، وحتى بعد نياحتك ، فقد جُمع الكثير منها فى كتب أصدرها « أبناء البابا كيرلس السادس » فى أجزاء تكاد تقارب العشرين جزءا ، حاملة المعجزة واسم الشخص الذى حدثت معه وعنوانه ؛ ومن بين هؤلاء أساقفة ورهبان وكهنة وشمامسة ومواطنين من مختلف الملل والأديان ، بل لقد تجاوزت معجزاتك مصر لتنتقل إلى كل دول العالم . . لقد كانت فوق التصور البشرى .

✤ العجائب والمعجزات هى برهان الروح والقوة .. ألم يقل بولس الرسول : « وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية ، بل ببرهان الروح والقوة ، لكى لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله » (١ كو ٢ : ١ - ٤) . ألم يذكر عن الرسل أنهم خرجوا وكرزوا فى كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات الثابتة (مر ١٦ : ٢٠) . أما هؤلاء الذين يشككون فى المعجزات ، فنقول لهم ما قاله يوحنا : « ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها ، لم يؤمنوا به » (يو ١٢ : ٣٧ و ٣٨) .

✤ إن الآيات والمعجزات لغة فائقة يخاطب الله بها البشر ، ولا يستطيع أحد غيره أن يتكلم بها ، وأعطى أناسا مختارين أن يتكلموا بها لإرشاد الناس إلى الإله الحقيقى .

✤ إن الرسل طلبوا من الله أن يؤيد خدمتهم بإجراء الآيات والمعجزات ، حتى يظهر أثر تلك المعجزات فى قبول الناس لكلمة الله وتعاليمه المقدسة .

✤ تُرَى يا أبانا ، ألم نكن فى حاجة ماسة إلى أن يكلم الله الناس بهذه اللغة فى أيامنا الحاضرة التى طغت فيها المادية والشهوات الجسدية على الروحانية ؟! .. إن معجزاتك يا أبانا تنطق برحمة الله وحنانه ، وتشهد أن الله يمجد قديسيه ويقبل شفاعتهم .. إن قراءة سير القديسين أيها القديس العظيم كانت وستظل سبب نوال بركة هذه المعجزات التى ما أكثر ما قدمتَ منها ، ويظهر فيها التلازم العجيب بين قداستكم وبين مار مينا .

✤ يبدو أنه ما زال فى حوارك بقية .

✤ نعم . فكما تحدثنا عن معجزاتك ، ألم يحن الوقت لنتحدث عن طرائف البابا وابتساماته الحانية وفكاهاته ؟!

✤ من الذى قال إن الباباوات أو رجال الدين عموما يقتصر عملهم على الصلاة وتصريف أمور الرعية .. أليسوا هم بشر فى حاجة إلى الابتسام ، وتخفيف أحمال الأبناء

المثقلة بالآلام ؟! بل لا ننسى : قد تكون الطرفة درس يستفيد منه الناس ، وقد تكون ابتسامة أو نظرة حانية أقوى من أى درس .

✠ إن الكثير من الطرائف التى عاصرها أبناؤك ظهرت فى العديد من الكتب . وسوف أكتفى بما قدمت ابنتكم المباركة إيريس المصرى فى هذا الصدد . فقد قالت إن قداستكم اعتدت كلما رأيتها ، أن تقول لها : « مالك قصيّرة كده عاملة زى البلية » وحين أجابتك : « ربنا خلقنى كدة . . أعمل إيه ؟ » قلت لها باسما : « روحى البسى لك جزمة بكعب عالى بدل الزحافة اللى انت لابساها دى . »

✠ إن إيريس ابنة غيورة على كنيستها الأرثوذكسية ، لقد كانت يوما سكرتيرة لجنة السيدات بكنيسة مار جرجس بمصر الجديدة .

✠ لقد كتبت عن ذلك فى كتابها السابع عن « قصة الكنيسة القبطية » . حين كانت اللجنة تجمع التبرعات وتقوم بالخدمة الاجتماعية ، وطلب أعضاء مجلس إدارة الكنيسة بإصرار على أن تعطيهم السيدات ما يجمعن وهم يتصرفون فيه تبعا لتقديرهم . ورفضت اللجنة . ولما احتدم الجدال ، قررت السيدات الاحتكام لقداستك . وحين حضرن إليك ، قابلتهن بدعاباتك الرقيقة ، ولم تدع لهن الفرصة لعرض الموضوع ، وخاب أملهن . وبعد أيام ، ذهبت إليك إيريس ، ورأتك صاعدا السلالم ، فجرت نحوك كالمعتاد . فالتفت إليها ، وأشرت إليها بالعودة من حيث أتت . وكان شعورها بخيبة الأمل مضاعفا ؛ فقصدت الأنبا صموئيل ، وقصّت عليه ما جرى .

✠ ما أنا بعد أسبوعين ، طلبت أن تقابلنى ، وحضرت ومعاها الأنبا صموئيل .

✠ وبعد تقبيل يدك الطاهرة ، قلت لها بشىء من العتاب : « إنت بتشتكى منا ؟ » فأجابتك : « لو كنت سمعت لى لإشتكيت لك ، ولما لم تسمع منى إشتكيت منك . » واكتسى وجهك بابتسامة عريضة .

✠ وقلت لها : « ما تزعليش ، خدى هذا الجواب . » وسألتنى : « أى جواب ؟ » فقلت : « الموضوع على المائدة أمامك . »

✠ لقد تجاهلت أمر الخطاب ، وتمادت فى تجاهلها . ومع ذلك ، لم تغضب قداستكم ، وابتسمت ابتسامة حلوة ، وأمسكت بالجواب وسلمته لها ، وقلت لها مداعبا : « تعرفى تقرى ؟ » فأجابتك : « أفك الخط . » وهنا ، ضحكت قداستكم فى هدوء -

✠ وقلت لها : « طيب ، فكّيه . »

✠ وقرأت الجواب ، وكان مفاجأة مدهشة .

✠ لقد عينتها رائدة للشباب .

✠ وقلت لها ضاحكا : « إمبسطى .. أدينى عملتك أسقفة . » فقالت : « يعنى حأنافس أنبا صموئيل ! »

✠ لقد ضحكت وقلت : « أيوة .. هو أسقف الخدمات ، وإنت أسقفة الشابات . »

✠ وبهذه الدعابة صالحتها يا أبانا المبارك . وهكذا لم تدع فى قلبك ركنا للغضب ، وكان رضاك عمليا ؛ وهو ما كنت تتبعه دائما مع أولادك .

ولا ننسى أقوالك الحلوة .. فقد كنت تنادى محامى البطرخانة « الباش محامى » ، كما كنت حين تطلب « كبّاية ميّه » من أحد العاملين بالبطرخانة ، كنت تقول له : « هات لى كبّاية ميّه علشان أدعى لك الدعوتين اللى فاضلين . » وعندما يقول لك : « حاضر يا سيدنا . » كنت تبتسم ، وتقول له : « يحضّر لك الخير والنور فى العين . » وعندما كان يحضر إليك أشخاص ، ويقدمهم أحد لك ، مثل :

سعيد ... كنت تقول له : نهارك سعيد زى ليالى العيد .

عجيب ... كنت تقول له : عجيب هو الله فى قديسيه .

عزمى ... كنت تقـول : يا رب شدد عزمى .. يا رب قوّى قلبى .

فـرج ... كنت تقـول : يا رب فرجك قريب عند الشدة .

هذا بخلاف مداعباتك يا سيدنا لشخص كان معروفا بتعوده الذم والإغتياب للآخرين . وبالرغم من أنك لم تسمح له باغتياب أحد أمام قداستك ، إلا أنك كلما قابلته ، وقلت له باسما : « لا تذم ولا تشكر إلا بعد سنة وست اشهر . »

كذلك لا نغفل مداعباتك للقس إبراهيم سعيد رئيس الطائفة الإنجيلية ، فقد كنت كلما قابلته – وكان صديقا حميما لك ، ودائم الزيارة لقداستك فى البطرخانة – تقول له :

« يا دكتور ، فيه قسيس يلبس بدلة ؟! »

✤ ماذا تود أن تقول ونحن نقترب من إنهاء حوارنا ؟

✤ كم من المطارنة والأساقفة رسمت فى عهدكم المبارك ؟

✤ عشرون مطرانا وأسقفا للأسقفيات التى أنشأتها . أما الأساقفة الآخرون ، فقد رسمتهم حين شغرت إيبارشياتهم .

✤ رهبانا رسمتهم أساقفة وأصبح لهم بصمات واضحة ؟

✤ كثيرون ، منهم :

القمص أنطونيوس السريانى أسقف التعليم الذى اختارته العناية الإلهية خلفا لى على كرسى مار مرقس باسم البابا شنودة الثالث .

الراهب مكارى الصموئيلى الذى أصبح الأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة والاجتماعية ، نيّح الرب روحه .

القمص باخوم المحرّقى الذى أصبح الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى والتعليم العالى .

القس موسى المقارى الذى سيم أسقفا لدمياط باسم الأنبا أندراوس ، نيّح الله روحه .

✤ هل لنا أن نعرف كيف تمت رسامة الأنبا أندراوس أسقفا لدمياط ؟

✤ كان اسمه نبيه لطفى إسكندر ، من مواليد شبرا عام ١٩٣٠ ، خريج كلية الهندسة جامعة الإسكندرية . عمل مهندسا بعد تخرجه فى عام ١٩٥٢ لمدة عام . كان ضمن إنجازاته أنه أول من صمم ساعة الزهور بالإسكندرية . ثم ترهبن بدير السريان باسم الراهب موسى فى ١٠ مارس ١٩٥٥ ، ورُسم كاهنا فى نفس السنة . واخترته سكرتيرا خاصا لى فى ١٩٥٩ . ثم غيّرَ الشكل الرهبانى على دير أبو مقار فى ١٩٦٩ .

أما كيف تمت رسامته : فقد استدعيت أبونا موسى المقارى ، وتظاهرت بأننى أريد أن أرسله فى مهمة كنسية إلى القدس ، فأطاع الأمر وجهّز حقيبته للسفر إلى القدس ، ثم مر علىّ بالمقر البابوى لتدبير أمر سفره . وفاجأته باختيارى له أسقفا لإيبارشية دمياط وتوابعها . فحاول الاعتذار بشتى الطرق ، ولكنى أصريت على رأيى . وخضوعا لرغبتى ، رُسم أسقفا فى ٢١ ديسمبر ١٩٦٩ على محافظة دمياط ودير القديسة دميانة ببرارى بلقاس وبعض بلاد الغربية (المحلة وسمنود وكفر ششتا والست رفقة) وبعض بلاد كفر الشيخ .

✠ لقد رُسم الأنبا أندراوس مع الأنبا فيلبس أسقف الدقهلية ، ورأست قداستكم صلوات وحفل إلباس الإسكيم المقدس للأسقفين الجديدين فى الساعة الرابعة والنصف من مساء السبت ٢٠ ديسمبر ١٩٦٩ .

✠ وحضر الاحتفال الأنبا متاؤس مطران الشرقية والأنبا بطرس مطران أخميم والأنبا ثاؤفيلس أسقف دير السريان والأنبا أثناسيوس أسقف بنى سويف والأنبا شنودة أسقف التعليم والأنبا صموئيل أسقف الخدمات والأنبا أغابيوس أسقف ديروط والأنبا لوكاس أسقف منفلوط والأنبا أغريغوريوس أسقف الدراسات العليا والأنبا مكسيموس أسقف القليوبية والأنبا بولس أسقف حلوان ، كما حضر عدد كبير من الكهنة وأراخنة الشعب والشمامسة وأفراد الشعب ، وألقى الأنبا شنودة كلمة عن واجب الأساقفة .

✠ لقد وافقت قداستكم على اقتراح أحد الأراخنة بتجليس الأسقف الأنبا أندراوس بدير القديسة دميانة ، ولكن القمص بيشوى عبد المسيح راعى كنيسة العذراء بدمياط عرض على قداستكم رغبة الشعب لتجليس الأسقف بدمياط ، مقر الكرسى ، حيث يتبعه بعض البلاد فى الغربية والدقهلية ، وحتى يتيسر للسادة المحافظين والمسئولين أن يحضروا الإحتفال ، خاصة وأنه كان وقتذاك الوصول إلى دير القديسة دميانة متعذرا . لقد قلت له قداستكم : « بطّل فلسفة يا ابنى . »

✢ لقد سكت وغضب ولم يحضر احتفال لبس الإسكيم المقدس للأساقفة ، ولكن وأنا راجع من الاحتفال ، اقتربت منه وهو واقف بجوار حائط صالون البطريركية ، وقلت له : « خليك كويس يا ابنى علشان أحبك . »

✢ على كل ، الذى حدث هو أن الآباء الأجلاء لما مضوا ليجلسوه ، أجلسوه بكنيسة السيدة العذراء بدمياط ، فى نفس المكان الذى رأى فيه القديس سيدهم بشاى العذراء .

✢ لقد كان الأنبا أندراوس أول أسقف يجلس على كرسى دمياط بعد ثلاثمائة وستين عاما ، فقد كانت هذه الإيبارشية بدون أسقف ، كما كانت تتبع مطرانية الدقهلية .
لقد كان الأنبا أندراوس يتسم بالذكاء والوداعة والغيرة على الكنيسة .

✢ أما عن الذكاء ، فأذكر هذه الواقعة التى عاصرتها ، وتتلخص فى أن المقدس سلامة عبد الملك تاجر الزجاج بدمياط ، قد أقام حفل شاى بمنزله ، ابتهاجا بمقدم سيدنا الأنبا أندراوس ، ودعا إليه خمسين مسيحيا من رجال الكنيسة . وجاء المدعوون ، وجلسوا حول الأنبا أندراوس فى الصالون الكبير . ابتسم سيدنا ، وقال إنه يريد التعرف على الموجودين ، واقترح أن يقوم كل مدعو ويقول اسمه ووظيفته بصوت عال ، وما إن انتهى المدعوون من تقديم أنفسهم ، حتى قال قداسته وعلى شفتيه ابتسامة حانية : « إسمحوا لى أن أختبر نفسى بإعادة تلاوة أسماء أحبائى . » لقد أعاد سيدنا تلاوة أسماء المدعوين جميعا ووظيفة كل منهم . وأكثر من ثلثى الحاضرين كان يقابلهم لأول مرة . بل إن معظم الحاضرين كانوا يلتقون ببعضهم لأول مرة فى هذا الحفل ، الذى خرجنا منه نُكِنّ كل محبة وتقدير لأسقفنا العزيز الذى ، بفضل ذكائه ، ذكر اسم كل مدعو ووظيفته مرتين ، مما جعل الجميع يتعرفون على بعضهم .
أما عن الوداعة ، فقد كان قداسته يسعد بتوجه العائلات المسيحية لقضاء يوم شم النسيم فى حديقة المطرانية فى غيط النصارى التى تبعد عن دمياط حوالى ثلاثة كيلومترات . لقد كان يلعب مع الأطفال « صَلّحْ » ويقف وسطهم فى وداعة ويضحك

معهم . كما كان يجمع الأسر ويجلس وسطهم ، ويقدم لهم الهدايا الرمزية من صور وأيقونات وصلبان ، قبل أن يعودوا إلى منازلهم .

أما عن غيرته على الكنيسة ، فرغم أن فترة حبريته قصيرة - سنتين ونصف - إلا أنها اتسمت بكافة أنواع النشاط الكنسى الذى يعوزنا الوقت فى تقديمه .

✣ لقد ترك أبونا موسى المقارى بدير البراموس أثرا عظيما عندما كان راهبا ، فقد قام بالإشراف على بناء خزان المياه الموجود بالدير ، ولينيّح الرب روحه الطاهرة .

✠ هل من كلمة إلى الآباء المطارنة والأساقفة والكهنة ؟

✣ ليمنحهم الرب الحكمة والتروى فى معالجة مشاكل هذا الدهر .

✠ سيدنا الحبيب البابا كيرلس ، بماذا تهمس لقداسة البابا شنودة الثالث بطريرك الكرازة المرقسية ، حفظه الله على كرسيه لسنين عديدة ؟

✣ أهمس له بما قاله بولس الرسول فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس : « فى الأتعاب أكثر . فى الضربات أوفر . فى السجون أكثر ، فى الميتات مرارا كثيرة . من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة . ثلاث مرات ضُربت بالعصى . مرة رُجمت . ثلاث مرات إنكسرت بى السفينة . ليلا ونهارا قضيت فى العمق ، بأسفار مرارا كثيرة . بأخطار سيول . بأخطار لصوص . بأخطار من جنسى . بأخطار من الأمم . بأخطار فى المدينة . بأخطار فى البريّة . بأخطار فى البحر . بأخطار من إخوة كذبة . فى تعب وكد . فى أسهار مرارا كثيرة . فى جوع وعطش . فى أصوام مرارا كثيرة . فى برد وعرى . عدا ما هو دون ذلك . التراكم علىَّ كل يوم . الإهتمام بجميع الكنائس . . من يضعف وأنا لا أضعف . . من يعثر وأنا لا ألتهب . إن كان يجب الإفتخار فسأفتخر بأمور ضعفى . الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى هو مبارك إلى الأبد يعلم أننى لست أكذب . فى دمشق والى الحارث الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد أن يمسكنى ، فتدليت من طاقة فى زنبيل من السور ونجوت من يديه » .

✠ هذا ما قاله الرسول ، والذى يتضح منه كم تعذب من أجل المسيح .

✠ والبابا شنودة غير خاف عنه كل هذا ، ولكن أقوله له ولكل أحبائى من المطارنة والأساقفة والكهنة والشمامسة والوعاظ ، كما أذكّرهم كم حاول عدو الخير معى شخصيا أن يضع العراقيل والضيقات فى طريقى . . كم حاول أن يؤلب علىّ الآباء والأبناء خلال فترة الرهبنة وبعد رسامتى بابا الإسكندرية . وبقوة صلاة القداسات وشركة الروح القدس والصلاة الحارة بالدموع الكثيرة فى الكنائس والأديرة وقلايتى الخاصة . . أطفئت سهام الشرير الملتهبة التى صُوّبت إلىّ ، وعبرتُ بالسفينة التى استلم قيادتها فى ظروف صعبة ودقيقة ، وأثق بمعونة الله وشركة ابنه الوحيد الرب يسوع المسيح ، سوف تعبر الكنيسة برعايته وحكمته بحور الضيق والاضطهاد والقلق والآلام ؛ كما سيضىء نوره هو ومن اختارهم معه قدام الناس دائما . وليبارك الرب جهودهم المضنية فى سبيل نصرة الكنيسة ، وأثق أنه لن يفصلهم عن محبة المسيح شدة أو ضيق أو عرى أو اضطهاد ، لأن الله بخوافيه يظللهم ، وتحت أجنحته يحتمون . معهم هو فى الضيق ينقذهم ويمجدهم ، وملائكته تحفظهم فى كل طرقهم .

✠ لقد شارف حوارنا على الانتهاء ، فهل تأذن لى يا سيدنا أن أذكر بعض ما كُتب عن قداستكم فى حياتك وبعد نياحتك ؟ أعتقد أن ما سوف يقرأه الناس ، سوف يؤكد أن ما قدمته من أعمال سوف تتوارثه الأجيال تقديرا وإعزازا ومحبة لك .

✠ تُرَى ، ماذا قالوا عنى فى حياتى ؟

✠ لقد قال الرئيس أنور السادات : « لقد آن الأوان لكى تأخذ كنيسة الإسكندرية مكانتها كما كانت عبر التاريخ فى العالم المسيحى . . لقد كانت منارا فى عالم المسيحية قبل كنائس كثيرة ، إنى واثق أن قداسة البابا يحمل فى عنقه هذه الرسالة ، وهو خير من يحملها .

أما القس الدكتور إبراهيم سعيد رئيس الطائفة الإنجيلية ، الذى حضر حفل الرسامة ، قال : « دموعه الغزيرة التى كانت تتساقط من عينيه أمام الهيكل قبل تتويجه كانت أغلى ثمنا وأعظم قدرا من اللآلىء التى ترصع بها تاجه . »

أما مستر يوچين بليك سكرتير مجلس الكنائس ، قال : « لقد لخص البابا فلسفته فى الزهد فى كل شىء ، وتلك سر قوته ، وذلك شعار الراهب الحقيقى . »

أما نيافة الأنبا أغابيوس ، قال : « الصلاة والصوم هما نور أيامه وبهجة حياته وشفاعة أبنائه وسلام كنيسته . »

أما الواعظ عياد عياد ، فقال : « الشىء الذى جذبنى إلى قداسته هو روحانيته ، ذلك لأنها هبة من فوق نابعة من قلب الله ، متغلغلة فى حياة قداسته ، متأصلة فى نفسه باعثة للسلام فى قلبه ، مسيطرة على كل ناحية فيه . »

✣ كل هذا قيل عنى فى حياتى ؟!

✣ بل أكثر يا سيدنا .. لقد قال عنك مستر شون بيكر كبير جراحى أيرلندا ، وهو رجل مشهود له بقوة الملاحظة وسرعة البديهة ، قادر على التعرف على كنه الشخصية التى يجالسها ويبادلها الرأى ؛ هذا الجراح العالمى التقى بقداستكم ، وفى حديثه عنكم لم يشر إلى سعة اطلاعك ولا إلى معارفك المتنوعة ، فهذه صفات يتحلى بها الكثيرون ممن قابلهم ، لكنه حدثنا عن تأثيراتك فى وجدانه ومشاعره . وصفك لنا بأنك شخص ملائكى تتمتع بوداعة فائقة تُشعر الشخص وهو معك بسلام داخلى ، كلامك بسيط يمنح هدوء نفسى . ومع ذلك ، فأنت صاحب نظرات فاحصة توحى بقوتك وروحانيتك الضافية ، وتذكرنا بقديسى القرون الغابرة .

✣ أين أدلى بهذا الحديث ؟

✣ هذا الحديث الشائق لم يدل به فى مصر ، حتى لا يقال بأنه حديث مجاملة ومداهنة ولكنه أدلى به فى بلده أيرلندا ، وطيّرته وكالات الأنباء العالمية فى حينه لكل أقطار العالم .

أما ما قالته روث بابينجتون أستاذ مقارنة الأديان بجامعة كامبريدج ، بعد أن زارتك بصحبة الأستاذة إيريس حبيب المصرى بالدار البابوية ، وبدون موعد سابق ، ووجدتك واقفا وسط قاعة الاستقبال يحيط بك جمهور الشعب . ولما رأيتهما ، أشرت إليهما

بالمجيء إليك ، وسلمت عليهما وحصلتا على بركتك ، وكانت دهشتها بالغة حين استفسرتَ منها عما تُدرّسه وناقشتها فيه . لقد قالت لإيريس وهما تخرجان من حُضرتك : « أكاد لا أصدق عينىّ ولا أذنىّ . . فهل إلى هذا الحد يعامل كل شخص كأنه الوحيد الآتى إليه ؟! ثم أن حديثه بالإنجليزية حلو . . إنه ليس مجرد حديث ، فقد أحسست أنه صادر من عمق قلبه . »

✠ نكتفى بهذا عما قالوه فى حياتى ، فماذا قالوا بعد نياحتى ؟

✠ لقد قال الرئيس أنور السادات : « إننى كنت دائما أعتز بقداسة البابا الراحل الذى أحبه . »

أما بابا روما ، فقال : « لقد حزنت جدا على فراق الصديق الناسك القارىء الواعى . »

أما الكاردينال اسطفانوس الأول بطريرك الأقباط الكاثوليك بمصر ، قال : « رجل تقوى ومحبة وسلام ، أنهك قواه باستقبال الجميع دون تفرقة بوداعة وحكمة ، كان وديعا متواضعا سمحا ، يقصده الجميع ملتمسين بركاته وصلواته . »

أما المطران ساويرس جاما النائب البطريركى للسريان الأرثوذكس ، فقال : « بذل نفسه بسخاء عن رعيته ، وبعد أن رعاها بطهر وقداسة ونقاء ، وخدمها بإخلاص ، وجاهد فى سبيل حقها جهاد الأبطال ، ودافع عن حياتها وصان جوهر إيمانها . »

أما القس لبيب مشرقى رئيس المجلس الإنجيلى الأعلى ، قال : « هذا الرجل المحبوب من المسيح ، والرجل الذى أحب المسيح ، الرجل الذى ملأت المحبة قلبه ، أحب الناس فأحبته الناس ، إن الشعوب بمن فيها من ملوك ورؤساء فى كل العالم يرددون مآثره مع أنه لا يحتل منصبا عالميا . . ليس ملكا ولا رئيسا ولا وزيرا ، لكنه خادم أمين للمسيح له المجد ، ومن يخدم المسيح يكرمه الآب . . لقد توّجه الله بإكليل الكرامة والمجد . . أكاليل لا يحلم بمثلها الملوك والرؤساء العظام . »

أما المطران بولس الأنطاكى النائب البطريركى للروم الكاثوليك ، فقال : « لن ننسى أبدا سعة صدره وحنانه على الكل ، وبالأخص على الصغير والفقير والضعيف . لم يطلب مجدا لنفسه أبدا ، بل كان مثال التواضع ، ولم يطلب شيئا سوى مجد الله وثبات الكنيسة وتقديس المؤمنين . »

أما الأنبا أغابيوس أسقف صنبو وديروط وقسقام ، فقال : « كان شعاره ، بل سره ، بل حياته ، الصلاة . . الصلاة المقرونة بالأصوام القاسية . . لقد ظلّلت بركات حياته المقدسة ليس الكنيسة وحدها ، بل الوطن كله . »

أما الأنبا اغريغوريوس أسقف الدراسات العليا والبحث العلمى ، فقال : « كنتَ رجلا صلب الإرادة حازما قوى الشكيمة ، لم يستطع أحد أن يلين لك قناة أو يثنى عزمك عن أمر كان لك فيه رأى واضح ، ولابد أن سر إرادتك الحديدية كان فى طهارة حياتك وصرامتك على نفسك . . كان لك القلب البصير . . فى حياتك تمت منجزات ، بل معجزات ، منجزات روحية وعلمية وعمرانية مصحوبة كلها ببركات سمائية ، كما تمت أيضا معجزات إلهية أهمها معجزة تجلى العذراء مريم بالزيتون . »

أما القمص مينا آفا مينا تلميذك ، فقد قال : لم تكن قداستك حلقة مشرقة فى تاريخ الكنيسة فحسب ، ولكن كان وما زال مدرسة كبرى لها فلسفتها الكنسية والروحية ، وستظل لأجيال كثيرة قادمة مشرقة لعميق الروحانية وحياة الصلاة .

أما الدكتور منير شكرى رئيس جمعية مار مينا بالإسكندرية ، فقد قال : « سيسطر له التاريخ صفحات مضيئة خالدة ، فقد ترك الكنيسة بعد أن جعل لها مركزا مرموقا على المستوى العالمى ، وصوتا مسموعا فى المؤتمرات والأوساط الكنسية . »

أما الدكتور مصطفى الفقى ، كتب يقول : « رجل دين ناسك ، يُجمع المصريون ، مسلمين وأقباط ، على زهده وتقواه . »

أما الدكتور سّليمان نسيم ، فقد قال عن الأساقفة الذين رسمتهم قداستك : « إنهم من أخلص العناصر وأصدقها وفاء للقيم الوطنية والروحية ، حتى ليصح بحق أن يقال أن الكنيسة شاهدت على أيديهم مرحلة تحوّل روحى علمى كبير جدير بسمعة كرسى مار مرقس وتاريخه العريق . »

✠ أين أبونا القمص صليب سوريال ؟

✠ ما أكثر ما قاله القمص صليب سوريال من كلمات تضمنتها الكتب وحملتها أشرطة التسجيل . . كلمات مؤثرة فعالة يُحتاج جمعها فى كتاب ضخم للتاريخ والأجيال .
لقد كان ضمن ما قاله فى ذكرى نياحتك السنوية :

« حديث الليلة عن كوكب عظيم لامع ساطع أضاء الكنيسة وأنار بلادنا . نشكر الله أننا عشنا معه وهو ما زال يعمل بقوة فى الكنيسة ، ومعجزاته بعد انتقاله تفوق معجزاته لما كان على الأرض . »

✢ أين القس رافائيل آفا مينا ، شماسى العزيز روفائيل صبحى ؟

☩ ما أكثر ما كتب عنكم فى مذكراته .. وما أكثر ما قدم من أشرطة تسجيل عن حياتكم .. لقد كانت وستظل كتبه مرجعا هاما لكل من يريد البحث فى سيرتك العطرة المباركة . حقا ، لقد زوّدنا بنبع هام لمعرفة حياتك وأعمالك ومعجزاتك ، باركه الرب وقواه .

✢ بالطبع يا ولدى ، يعوزنا الوقت والصفحات لذكر كل ما كتبه عنى الآباء والأساقفة والكهنة وتلاميذى ومريدىّ ومحبىّ ؛ عوّضهم الله على تعب محبتهم .

☩ على كل يا أبانا ، أستأذنك فى أن نكتفى بهذا القدر اليسير الذى قدمناه ، داعيا من يريد المزيد أن يرجع إلى ما كتبته الصحافة عنكم عند رقادكم فى الرب أو إلى الكتب التى نشرها « أبناء البابا كيرلس » عن معجزاتك ، أو حياتك .

أما هذا الحوار ، فقد أردت به يا سيدنا الحبيب أن أقدمك لأبناء هذا الجيل وأسرهم ، ليدركوا كم كنت رجل صلاة وبركة ..

كم كنت رجل أصوام وتقوى ..

كم كنت رجل قداسة ومحبة ..

كم كنت رجل تجارب ومعجزات .

✢ فى ختام الحوار ، هل لى أن أسألك : أما زلت يساورك الشك فى إمكان حدوث معجزات ، وظهور القديسين ، وانطلاق رائحة البخور .. أم تأكدت وآمنت ؟

☩ كيف لا أؤمن يا سيدنا البابا المعظم كيرلس السادس ، وقد حدث معى أثناء كتابتى لهذا الحوار أن نطلق البخور فى بيتى ثلاث مرات .. عند بداية الحوار عن طفولتك

ورهبنتك ، كانت رائحة البخور خفيفة وللحظة وإن لم تخطئها الأنف . . وعند الحديث عن تعمير دير مار مينا ، اشتدت رائحة البخور ولأكثر من دقيقة . . وعند الاقتراب من نهاية الحوار ، وكان الحديث عن البابا شنودة والرهبان الذين رسمتهم قداستك أساقفة ، ومنهم المتنيح الأنبا أندراوس أسقف دمياط الذى كنت أحبه ، وعند نياحته ونقل جثمانه إلى دير القديسة دميانة ، جلست بجوار جثمانه الطاهر قرابة الساعتين أو يزيد ، ولقد أعادنى لهذه الذكريات قراءة كتاب تاريخ إيبارشية دمياط الذى كتبه القمص بيشوى عبد المسيح وكيل المطرانية ، فى الفصل الثانى عشر بالأنبا أندراوس من رسامته إلى نياحته . أثناء قراءة هذا الباب ، ومشاهداتى لصور الأنبا أندراوس به ، أحسست بانتعاش روحى . لقد انطلقت بعده رائحة البخور المعطر فى أرجاء بيتى بكميات هائلة ، كنت أشتمها فى كل مكان بالشقة ، ولمدة زادت عن خمس دقائق . وقد اشتمت زوجتى رائحة البخور الذكية التى ملأت بيتنا ، والتى مدتنا بالانتعاش والصلاة .

✠ ألم يشكك عدو الخير فى هذه المعجزة ؟

✠ لا أنكر يا أبانا أن عدو الخير حاول أن يشككنى فى هذه الظاهرة الروحية ، فدفعنى لأن أقوم وأفتح باب الشقة وشباك المنور والبلكونات ، متصورا أن يكون أحد الجيران يستخدم البخور ، ولكن لم أشتم أية رائحة بخور فى أى من الشقق المجاورة بالبيت الذى أقيم فيه أو بالعمارات المحيطة أو الشارع . وأكرر - والله شاهد - أن البخور الذى اشتممناه فى بيتنا هو نفس البخور الذى يستخدم فى الكنائس .

✠ والآن ، وقد انتهيتَ من حوارك ، دعنى أنطلق لأحبائى المشتاق إليهم ، فهم فى انتظارى .

✠ أستأذنك يا سيدنا أن تحاللنى قبل أن تتركنى ، فعند قراءتى لكتب معجزاتك ، وخاصة ما قالوا عنها أصحابها « إنهم شموا رائحة بخور » ، أصابنى الشك فى صدقها ، وخاصة ما رُوِىَ حين تقرر نقل جثمانك الطاهر إلى كاتدرائية مار مينا بمريوط ، رأى المسئولون وجوب وضع لوحة من الرخام محفورا عليها اسمك ،

فأوصوا مصنع « فيلو بولس » بعملها . وعهد صاحب المصنع إلى العامل محمد السيد خليل إبراهيم ، وشهرته محمد النونو بتنفيذ هذا الطلب . وبدأ العمل بهمة ونشاط ، ولكنه وصل إلى نقطة من الحفر أحس فيها بالخوف من أن تنكسر اللوحة ، ثم فوجىء بـ « رائحة بخور ذكية » تنبعث منها . ولدهشته ، سارع إلى نداء موظف مسئول بالمصنع ، وكان اسمه أنطون أسعد فهمى ، وطلب إليه المجىء ليرى اللوحة ، فذهب معه لتوه ، ودهش إذ تأكد أن البخور منبعث منها فعلا ، بل ومنتشر فى كل جهاتها ، فمجد الله .

وقد عاود محمد النونو العمل باللوحة ، الذى سار بعد ذلك بسهولة مذهلة ، فجاءت لوحة الرخام آية من جمال الصناعة المصرية . وقد كتب كل من العامل والموظف إقرارا موقعا عليه منهما بما حدث ، والإقراران محفوظان بدير مار مينا بمريوط .

حقا ، لقد استخففت وتشككت فى المعجزات التى قرأتها فى الكتب ، والتى « اشتم أصحابها بخور » . . .

ولم أكن أتصور مطلقا ، وأنا أعد صفحاتى الأخيرة لهذا الكتاب ، أن ينطلق البخور فى بيتى بهذه الكميات الهائلة . . .

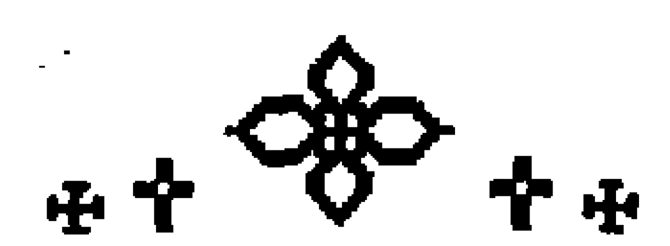
نعم ، أكرر . . وسأظل أكرر . . إنه بخور معطر مدنا بالانتعاش ، ورفع روحنا المعنوية ، وجعل ألسنتنا تسبح الرب بفرح . . .

والله وحده شاهد على صدق قولى .

لذلك يا سيدنا ، سامحنى وحاللنى على تشككى وضعفى . . .

✝ وداعا . . ودعنى أنطلق .

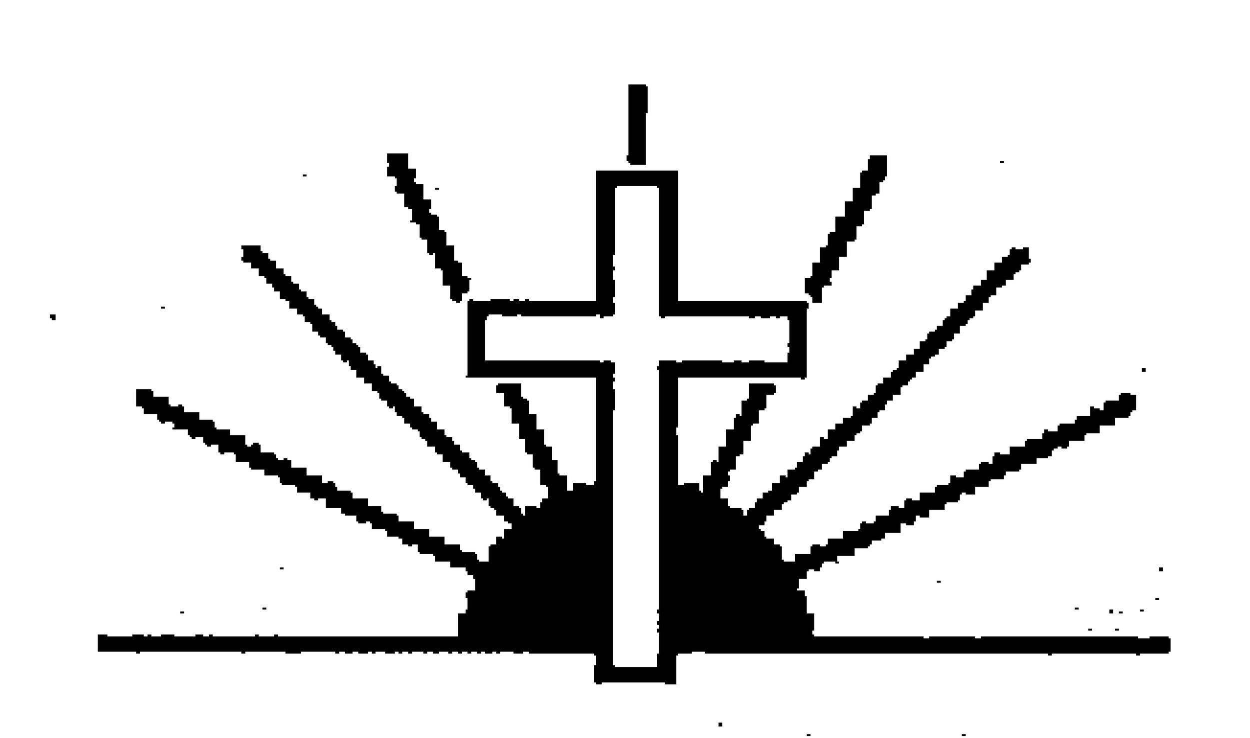
✠ وإن كان فى الجعبة الكثير ليمتد الحوار لساعات طويلة وصفحات عديدة ، حتى يستمتع الأبناء والآباء بحديث قداستكم المملوء بالحنو والعطف والمحبة ، إلا أننى أكتفى بما رتبه الله لنا على مائدة محبتكم الشهية من ألوان المعرفة المختلفة .



ليكن هذا الكتاب « البابا كيرلس السادس .. رجل فوق الكلمات » بركة لكل بيت ، ومصدر إشعاع وتنوير لكل المحبين لقداسته وعارفى فضله . . .

وكيف لا ؟ وصاحبه ، قديس القرن العشرين ، ما زالت معجزاته ، بعد نياحته ، أكثر مما كانت فى حياته ؟!

لتكن بركاته ، وقوة صلاته ، وشفاعته ، ومعجزاته ، مصدر بركة لجميعنا .





رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٢/٩٨٥١

الترقيم الدولي I.S.B.N. 977 - 12 - 0157 - 3

طبع على مطابع شركة تريكرومى للطباعة

ت ٩٣٥٧٥٦ القاهرة

هذا الكتاب

✣ † ✣

« البابا كيرلس السادس .. رجل فوق الكلمات »

يقدمه لأبناء هذا الجيل وأسرهم ، الأستاذ مجدى سلامة ، فى حوار ممتع ، وأسلوب سهل شيق ، ودراسة متعمقة متأنية .

كتاب يقدم حياة البابا كيرلس السادس : منذ طفولته وحتى نياحته ، ليدرك الجميع ، كم كان رجل صلاة وبركة .. رجل أصوام وتقوى .. رجل قداسة وإيمان .. رجل تواضع ومحبة .. رجل تجارب ومعجزات .

إنه كتاب سوف يشدك إليه فى متعة ، مثيرا فضولك قارئا أو دارسا ، أو محبا للتزود بالمعرفة عن تلك الشخصية الغنية بالمواقف المتميزة .

هذا الكتاب سوف يكون بركة لكل بيت وكل أسرة تقتنيه .. وكيف لا ؟ وهو يقدم لنا حياة قديس القرن العشرين الذى ما زالت معجزاته ، بعد نياحته ، أكثر مما كانت فى حياته ؟!

بركاته مع جميعنا ، آمين .





MAHABA BOOKSHOP مكتبة المحبة

٣٠ شارع شبرا ناصية شارع البعثة – ت : ٢٤٤ ٥٧٥٩ - ٧٧٧٤٤٨ – ص. ب. رقم ١٢ قصورة الشوا